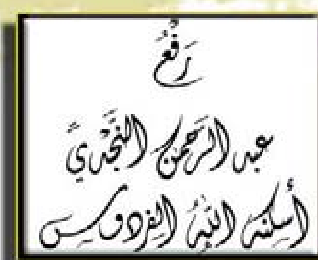


الإمام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

باني دولة ومنشئ أمة

الأستاذ الدكتور
عمر سليمان الأشقر



دار النفائس
للنشر والتوزيع

الإمام المجدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

باني دولة ومنشئ أمة

١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م

الطبعة الأولى

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٠٠٨/٦/٢٠٣٦



العبدلي - مقابل مركز جوهرة القدس

ص.ب ٩٢٧٥١١ عمان ١١١٩٠ الأردن

هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٦٩٣٩٤٠

فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٦٩٣٩٤١

Email: ALNAFAES@HOTMAIL.COM

www.al-nafaes.com



الأستاذ الدكتور
عمر سليمان الأشقر




بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الواحد المعبود، الذي ألّف بين المؤمنين الموحدين بكتابه المنزل، ونبيه المرسل، والصلاة والسلام على المصطفى المختار محمد ﷺ الذي هدانا الله به إلى الصراط المستقيم، وخلصنا به من الحيرة والضلال، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، وعلى من سار مسارهم، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد دعيت في السنة الماضية (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) للمشاركة في مؤتمر جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت الذي عنونوا له بـ «الأسس الفكرية لوحدة الأمة الإسلامية» وقد عقد هذا المؤتمر في يومين في اليوم الثالث والرابع من شهر ذي القعدة، ويوافقه الثالث عشر والرابع عشر من شهر تشرين الثاني، وقد شدّني المؤتمر إليه، فهو يبحث في قضية من أهم القضايا الإسلامية، وهي وحدة الأمة الإسلامية، وقد زاد من اهتمامي بموضوع المؤتمر أن أحد مباحثه الرئيسة تدور حول الشيخ العلاّمة الحبر الفهامة شيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهاب، أحد بناة الأمة الأفذاذ في القرون الأخيرة، الذي خلص الله به الأمة مما أصابها من ضياع التوحيد، والتوغل في الشرك، والخرافة والدجل.

وللشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله مكانة خاصة في نفسي، فقد قدّر الله لي أن أدرس دعوة الشيخ وسيرته، كما درست مؤلفاته ورسائله، ذلك أنني درست السنتين الأخيرتين من المرحلة الابتدائية، ثم درست المرحلة الثانوية كلها في المعاهد العلمية في الرياض، وتابعت المشوار بالدراسة في كلية الشريعة بالرياض حتى حصلت على إجازتها، ودرست على جمع طيب من المشايخ الذين حملوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأعظمهم شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وأنا أعتقد جازماً أنه لا غنى لمن أراد أن يدرس الأسباب التي أدت إلى تأخر الأمة وتخلفها وانحطاطها، والأسباب التي تؤدي إلى النهوض بها، لا غنى له عن دراسة سيرة هذا العلاّمة الفذ.

لقد درست الورقتين المقدمتين للمؤتمر عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ودرست قبل انطلاقي للمؤتمر ما وقع بين يدي من كتب تحدثت عن الشيخ، ثم تابعت الدراسة عقب عودتي إلى مقر إقامتي في عمان الأردن، وكانت نتيجة ذلك كله هذا الكتاب الذي

يتحدث عن سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ويتحدث عن دعوته.

وقد عمقت هذه الدراسة صلتي بالشيخ رحمه الله تعالى وبمؤلفاته ورسائله، وقد أيقنت بأن الشيخ رحمه الله قام بعمل قلّ نظيره تجاه المسلمين في الجزيرة العربية خاصة، والعالم الإسلامي عامة.

لقد نجح الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب قبل ثلاثمائة سنة تقريباً بما لم ينجح فيه علماء أعلام من قبله ومن بعده، لقد وحّد الأمة الإسلامية في الجزيرة العربية على كلمة التوحيد، وخلصها من الشرك الذي تمثل في عبادة الأموات، وأقام دولة تدين بالإسلام دون سواه، بعيداً عن العصبية القبلية، والعصبية المذهبية، وبعيداً عن البدع والخرافات والفرقة، وأقام دولة واحدة تدين بالإسلام دون سواه، وهدم القباب المبنية على القبور التي كانت تُقصد من دون الله، وأثّر في الجزيرة العربية، وخارج الجزيرة، ورسم طريق الإصلاح.

لقد أثار الشيخ محمد الناس جميعاً بدعوته، فاتّبعه كثير من الناس، وسلّوا السيف مدافعين عن دعوته، وحاربوا من أراد هدم الدعوة، ومحق الدعاة الذين رضوا بها، وقام آخرون يرمون دعاة

التوحيد من هنا وهناك بنبالهم، ويحاولون قتل دعوتهم في مهدها، وكان آخر ما قاموا به أن أرسلوا جيوشهم الجرارة من تركيا ومصر، فخاض أتباع دولة التوحيد سبع سنوات من الحروب انتهت بالقضاء على تلك الدولة الفتية.

هدمت الدرعية سنة (١٢٣٣هـ)، وشرد أتباع الدعوة بعد أن هدمت دولتهم، ولكن البذرة الخيرية الطيبة كانت قد استقرت في النفوس، فلم تمضِ خمس سنوات أخرى حتى عادت الدولة إلى مثل ما كانت عليه، ففي عام ١٢٣٩هـ أعاد الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الأمر إلى ما كان عليه، وأصلح ما أفسده الخصوم، وانتظمت مسيرة الإصلاح تحت إمرته.

إن الناظر في دعوة الشيخ وسيرته تطالعه ثلاثة أمور في غاية الأهمية:

الأول: أن الشيخ تلقى العلم الصحيح الذي أهله إلى أن يصوغ نفسه وأتباعه على هدى من ربه، وقد عني بفقه التوحيد الحق، والخلاص من الشرك، وهدي إلى البصيرة في تربية الرجال وسياستهم، وقد كان بين أتباعه العالم المعلم المربي، والقائد الموجه، والسياسي المحنك.

الثاني: هدي الشيخ إلى معرفة الداء العضال الذي أصاب الأمة الإسلامية، وهدي إلى محاربته، وهذا الداء هو الجهل بالتوحيد، واتخاذ الأنداد من دون الله،وقد وجه جهوده العلمية والدعوية إلى محاربة هذا الداء، وتخليص الناس من حبائله.

الثالث: لم يكتف الشيخ بالدعوة إلى الله باللسان والقلم، ولكنه تحالف مع القوة السياسة الحاكمة، ففي العيينة ناصره أميرها، فقام الشيخ بالدعوة والتدريس، وتولى القضاء، ونفذ الأحكام الشرعية، وهدم القباب القائمة على القبور، وسوّى القبور المشرفة، وأقام الناس على الدين الحق، فلما توقف أمير العيينة عن نصرته خرج الشيخ إلى الدرعية، وحالف أميرها محمد ابن سعود، وكان لهذا التحالف دوره في إقامة دولة عظيمة، تدين بالحق وتنصره.

ومن الفوائد العظيمة التي نستفيدها من سيرة الشيخ في دعوته أن الله كتب لها النجاح، فقد امتدّ عمر الشيخ حتى ناف على التسعين عاماً، ورأى جهوده تثمر في حياته، لقد هيمنت الدولة الفتية على الجزيرة العربية، وضمّت الحجاز، ووصلت إلى اليمن، وقاربت الشام، ولولا الحرب التي واجهت بها تركيا ووالي مصر إبراهيم باشا هذه الدعوة لكان لها شأن آخر.

يقول الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي في شأن هذه الدعوة وعظم أمرها: «لقد كانت دعوة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من أعظم أحداث القرن الثاني عشر الهجري، ليس في جزيرة العرب وحدها، ولكن في العالم الإسلامي كله، وفي ظني أنها من أعظم حركات الإصلاح في التاريخ الإسلامي بعد أن توقف المدّ الإسلامي، وضعف كيان الدولة الإسلامية، ولا أبالغ إن قلت: إنه لم يسبقها نظير لها، ولم يأتِ بعدها مثيل.

وميزتها لا تتمثل في شيء جديد في مبادئها وما دعت إليه، فإنها لم تأتِ بجديد، ولا جديد في الإسلام، فهو أحكام ووحي نزل من عند الله - تبارك وتعالى - على محمد ﷺ ، فبلغ رسالة ربه، وأدى أمانته، وأكمل الله للمسلمين دينهم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وانقطع الوحي بوفاته، عليه أفضل الصلاة والتسليم، ولم يبقَ أمام أمته وأتباعه إلا اقتفاء أثره، والاستقامة بالمحجة البيضاء التي ترك الأمة عليها». [انظر هذا الكلام في مقدمة الجزء الثاني عشر من السفر الذي جمعته جامعة الإمام من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والمعنون له بـ «ملحق المصنفات»، ص ١].

ويقول فضيلة الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق مبينا في ورقته التي قدمها إلى المؤتمر المذكور مبيناً أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي: «نقلت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب العالم الإسلامي على العموم والجزيرة العربية على الخصوص من أوضاع أشبه بأوضاع الجاهلية الأولى إلى حال من الإسلام والإيمان والدعوة والجهاد في سبيل الله أشبه بما كان عليه الصدر الأول في الإسلام.

فقد كانت الجزيرة العربية بما فيها مكة والمدينة أشبه بما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة القبور والأحجار والأشجار والأوثان، ومن الجهل بعموم أحكام الإسلام، هذا إلى قطع الطريق والإفساد في الأرض ونهب الحجيج، وتبديل مشايخ الضلال لدين الإسلام.

وجاءت دعوة الشيخ التي بدأها في حريملاء ثم في العيينة مسقط رأسه، ثم في الدرعية حيث تم العقد بين أميرها محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب فالتقى القرآن والسلطان وقامت دولة للإسلام أشبه بالدولة الأولى في المدينة النبوية المنورة».

وقد زالت كثير من مظاهر الشرك والوثنية التي حاربها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذا العصر، ولكن المؤامرات التي صنعها أعداء الإسلام عظمت وازداد البلاء، فقد قسمت ديار الإسلام إلى دول كثيرة، وتسابقت الدول الكافرة إلى إذلال شعوبنا ونهب خيراتنا، وارتهنت إرادة الأمة، وأصبح البلاء الذي حلّ بأمتنا عظيماً.

وقد ألف مؤلفون في رسم مسار نهضة الأمة، وعقدت مؤتمرات، وكُتبت مقالات، وقد ارتأيت أن أعيد النظر في دراسة التجربة العظيمة التي أقامها الشيخ محمد عبدالوهاب في إقامة الأمة الإسلامية، فتجربته كانت تجربة كاملة، آتت أُكُلها الطيبة في حياته، ومن اطّلع عليها بكل أبعادها، رآها دعوة منقادة لدعوة الرسول ﷺ ، توجهت لإحياء الأصل الذي جاء به القرآن، والناس يفقهون الأمر الذي صاغ الحياة بالإسلام، أكثر مما يفقهون الأمور العلمية المجردة، والفقه السياسي، والبُعد العقدي، ولذلك تكفل الرسول ﷺ لأمته ببقاء الدين الحق المتمثل بالكتاب والسنّة كما تكفل له ببقاء فئة من الأمة ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة.

وهذه الفئة تمثل الحق في الواقع المشهود، كما يمثل الكتاب والسنّة الحق في الواقع المعلوم.

ولعل عرض تجربة الشيخ محمد رحمه الله بكل أبعادها تفيد الدعاة والعلماء والباحثين في مسار الأمة، وترتقي بالجهود المبذولة في هذا السبيل، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

عمر سليمان عبدالله الأشقر
عمان – الأردن

٢٧ من جمادى الأولى ١٤٢٩هـ
١ حزيران (يونيو) ٢٠٠٨م

المبحث الأول
مقدمة في منهج إحياء الأمة

المطلب الأول
المنهج موجود وليس بمفقود

المنهج الذي يقيم الأمة الإسلامية منهج واضح المعالم موجود بوضوح في الكتاب والسنّة وسيرة الرسول ﷺ، وليس بمنهج مفقود يحتاج إلى اختراع وإيجاد.

إن الذين يريدون اختراع منهج جديد لإحياء الأمة الإسلامية يظلمون أنفسهم، ويظلمون أمتهم، ويطيلون المسار على غير هدى، لقد حكم الله على هذه الأمة أنها لا تجتمع على غير الدين الإسلامي، وهذا التاريخ شاهد، فإن الأمة العربية والأمة الإسلامية لم تجتمع على غير الرابطة الدينية الإسلامية، وأخبرنا ربنا بأن هذه الأمة لا يجتمع قلوب أصحابها على غير الإيمان، ولو أُنفق

في سبيل ذلك كل ما في الأرض من مال ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣] إن المنهج الذي يقيم هذه الأمة ويحييها موجود في القرآن الكريم، وقد سلكه الرسول ﷺ ، وأقام عليه أمته، وقد فتح قلوب العباد بتوجيههم إلى رب العباد، وجعلهم أمة أخلصت دينها للواحد الأحد، بعيداً عن الأصنام والأوثان والصلبان، وربط فيما بين أتباعها برباط الإيمان، وألزمها بطاعة الرسول ﷺ ، ثم بخلفائه من بعده، وأنشأ الرسول ﷺ جيشاً واحداً، حارب به الشرك وأهله، وكوّن الأمة الواحدة وقد هداها إلى التعارف فيما بينها بالأنساب والعشائر والشعوب، ولكن التفاضل فيما بينها إنما يكون بالدين والتقوى.

إن معرفة هذا الأصل في غاية الأهمية، فالواجب علينا أن نتعرف على الطريق الذي يبني مجد الأمة الإسلامية، عبر نصوص القرآن، ونصوص الأحاديث الصحيحة، وعبر سيرة الرسول ﷺ ، فبناء الأمة على الطريق الصحيح جزء من الدين الصحيح، وهذا الطريق هو الذي سلكه الداعية الرباني الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ففتح الله له القلوب، واجتمعت عليه النفوس.

المطلب الثاني
البناؤون الكبار للأمم على مرّ التاريخ الإنساني

البناؤون الكبار الصالحون في تاريخ البشرية المديد هم الرسل والأنبياء وأتباعهم على إثرهم، الذين اهتدوا بهداهم وساروا مسارهم. والرسل والأنبياء خيرة الناس على مستوى البشر في العقول والأجسام، وكذلك الرجال العظام الذين ساروا مسارهم، كما قال تعالى في وصف الرجل الذي اختاره لقيادة بني إسرائيل، ورفع به ما أصابهم من بلاء وخنوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

وقد أطال القرآن، وأبدى وأعاد في الحديث عن بناة الأمم العِظام من الرسل والأنبياء الذين اختارهم الله واصطفاهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣]. وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥] وقال مثنياً عليهم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾

وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٥-٤٨]
وأفضل رسل الله وأنبيائه أولو العزم، وهم الخمسة الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧] وسماهم أولي العزم في قوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

والرسل والأنبياء أفضل البشر، وأبو بكر ﷺ أفضل رجل بعد الرسل والأنبياء، فعن أحمد من حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طلعت الشمس على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبي». [فضائل الصحابة، ٥٠٨].

وقد صنع الله رسله وأنبيائه بما كان يوحيه إليهم، فمع كونهم بشر من ذرية آدم عليه السلام، إلا أنهم تلقوا وحي الله إليهم، وصاغوا أنفسهم به على النحو الذي يريده الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٨].

وقد صنع الله رسله وأنبيائه على عينه، كما قال عز جل في نبيه موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩]

وقد أقام الله رسوله جبريل معلماً لأنبيائه ورسله، كما قال سبحانه في عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:٥-١٦].

ولا شك أن الله يختار من عباده من هو أفضلهم وخيرهم، وفيه من الصفات الرائعات ما الله به عليم، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣] وجميع الأنبياء أقوياء أمناء على ما كلفهم الله تعالى به، كما قالت ابنة الرجل الذي تزوج موسى عليه السلام ابنته في موسى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

وقد كان الأنبياء في بني إسرائيل كثيرون، كلما هلك نبي قام نبي، كما في الحديث عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول،

أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم» [البخاري:٣٤٥٥، ومسلم:١٨٤٢].

أما هذه الأمة فليس هناك نبي بعد نبينا محمد ﷺ، ولكن الخلفاء يقومون بسياسة الناس من بعده، وقد دلنا الرسول ﷺ كيف نفعل إذا جاء من ينازع الخليفة الأول، فقال في الحديث السابق: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

المطلب الثالث
محمد ﷺ أعظم البناة على مرّ التاريخ الإنساني

أعظم من بنى أمة هو الرسول الأعظم محمد ﷺ، ورسولنا ﷺ هو الرسول الذي دعا نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل الله أن يبعثه في آخر الزمان عندما كانا يقيمان القواعد من البيت في قولهما: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

وقد فقه رسولنا ﷺ الدين، الذي أنزله الله إليه، وأقام نفسه عليه، ودعا قومه إلى هذا الدين وتلا عليهم آيات الله، وعلمهم الكتاب والحكمة، وزكاهم، وصنع الله به أمة الإسلام التي انتشرت في أرجاء الأرض.

قام خلفاء كثيرون بعد الرسول ﷺ، فأقاموا الأمة على منهج سواء، وعمقوا الدين في قلوب العباد، وحكموا شريعة الله في أعمال العباد، وجاهدوا في سبيل الله كالخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وسار على دربهم الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، وكان الخلفاء من بني أمية وبني العباس والدولة العثمانية وغيرهم يقتربون ويبتعدون عن المنهج الحق بنسب متفاوتة، ومنهم من كان يبتعد كثيراً، ثم ضعفت الخلافة كثيراً منذ قرنين من الزمان، وأخيراً زال الخليفة وزالت الخلافة في تركيا، وانقسمت الدولة الإسلامية إلى دول كثيرة، وابتعد كثير من الحكام عن الشريعة، وحكّموا القوانين الوضعية في الديار التي يحكمونها، وقد كان بعض العلماء الذين نبغوا في علم الشريعة يتصلون بالحاكم في زمانهم، ويرشدونه للتي هي أقوم في حكمه، وكان بعض الحكام يستجيبون للتقويم والتوجيه والإرشاد.

ومن أهل العلم الذين كان لهم أثر كبير في حكامهم الإمام العلاّمة شيخ الفصحاء والبلغاء أبو المجد علي بن الحسن بن البيساني الشهير بالقاضي الفاضل المولود في سنة ثنتين وخمسمائة والمتوفى في سنة ست وتسعين وخمسمائة، فقد كان له أثر عظيم على صلاح الدين الأيوبي، قال ابن كثير: «لما استقر الملك لصلاح الدين

بمصر جعل القاضي الفاضل كاتبه وصاحبه ووزيره وجليسه وأنيسه، وكان أعز عليه من أهله وأولاده، وتساعدا حتى فتح الأقاليم والبلاد، هذا بحسامه وسنانه، وهذا بقلمه ولسانه وبيانه».
[البداية والنهاية: ١٣/ ٢٤].

وذكر ابن كثير أن صلاح الدين الأيوبي عندما مرض مرضاً شديداً في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة في بلاد حرّان، نذر لئن شفاه الله من مرضه، ليصرفن همّته كلها إلى قتال الفرنج، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً،وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر، وليقتلن البرنس صاحب الكرك بيده، لأنه نقض العهد، وتنقص رسول الله ﷺ، وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام، فأخذ أموالهم، وضرب رقابهم، وهو يقول: أين محمدكم؟ دعوه ينصركم.

قال ابن كثير معقباً على قوله هذا: «وكان هذا النذر كله بإشارة القاضي الفاضل، وهو أرشده إليه، وحثّه عليه، حتى عقده مع الله عز وجل، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذي كان فيه، كفارةً لذنوبه».

وذكر ابن كثير أن مما كتبه القاضي الفاضل إلى المظفر عمر قوله له: «وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضبة جديدة،

والعزمة ماضية حديدة، والنشاط إلى الجهاد، والتوبة لرب العباد، والجنة مبسوطة البساط، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط، وعرضنا نحن على الأهوال التي من خوفها كاد الجمل يلج بسمِّ الخياط». [البداية والنهاية: ١٢/ ٣١٢].

ومن الذين كانوا ينصحون الحكام، ويؤثرون فيهم، ويدلونهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وقد كان لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يخاف إلا الله تعالى، وقد اجتمع شيخ الإسلام بغازان ملك التتار، وكان عازماً على غزو دمشق والفتك بأهلها، فقصده ابن تيمية، وقام له مقاماً عظيماً مهيباً، ولامه لوماً شديداً، فهو يدعي الإسلام، ومع ذلك فإنه يقتل المسلمين، ويستولي على أموالهم وبلادهم، بينما كان أبوه وجدّه كافرين، ولم يفعلا فعله. [راجع: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بهجت البيطار، ص١٣].



المبحث الثاني

إحياء الشيخ محمد بن عبدالوهاب الأمة من جديد

تقديم: الشيخ محمد يحيي الأمة في العصور الأخيرة:

من أعظم الذين قاموا بدور عظيم في إحياء الأمة الإسلامية في القرون الأخيرة الشيخ العلاّمة الحبر الفهامة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأحسن مثوبته، فقد دعا أهل نجد إلى الدين الحق الذي جاء به خاتم رسل الله محمد ﷺ، وقام بالأمر خير قيام، فأعزّ الله به الدين، وانتشرت دعوته في نجد وما حولها، ثمّ عمت الجزيرة العربية، وانتشر شعاعها في كثير من بقاع الأرض، واهتدى بها من أراد الله له الهداية.

المطلب الأول

حالة العصر الذي ظهر فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب

وصف «لوثروب» في كتابه: «حاضر العالم الإسلامي» القرن الثالث عشر الهجري، فقال:

«في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركه، فاربدّ جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجاً من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي، واستغرقت الأمة الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال، فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركية، وأواخر ملوك المغول في الهند، يحكمون حكماً واهناً.

وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة التي هم في حكمها، وينشئون حكومات مستقلة، ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن، وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً، وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقاً فوق إرهاق، فغلت الأيدي وقعد الناس عن طلب الرزق، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين، وبارت التجارة بواراً شديداً، وأهملت الزراعة أيما إهمال.

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجناً من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن.

فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل، وهتك ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذي فرضه الإسلام على من استطاعه ضرباً من المستهجنات، وعلى الجملة فقد بُدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب، وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين، كما يُلعن المرتدون وعبدة الأوثان».

المطلب الثاني

الأسباب التي أدت إلى نجاح الإمام محمد بن عبدالوهاب في إعادة بناء الأمة الإسلامية

لا يكفي أن يكون الرجل عالِماً بالشريعة الإسلامية ليقيم الأمة الإسلامية على الصراط المستقيم، فالعلم يشكل جزءاً من الصفات التي يتصف بها بناة الأمة الإسلامية، ولكنه وحده لا يكفي، وقد حبا الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب بكثير من الصفات التي أهّلته لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى الطريق القويم، ومن ذلك:

- الغصن الأول: كان الشيخ محمد ذا نسب في قومه.
- الغصن الثاني: كان الشيخ سليل أسرة علماء.
- الغصن الثالث: المزايا والخصائص التي وهبها الله للشيخ محمد.
- الغصن الرابع: طلب الشيخ للعلم ورحلته في طلبه.
- الغصن الخامس: نبوغ الشيخ في علوم الشريعة والعربية.
- الغصن السادس: كان الشيخ عالِماً ربانياً.
- الغصن السابع: علم الشيخ بالطريق الذي يسوس به أتباعه.
- الغصن الثامن: قدرة الشيخ على مواجهة الخصوم.
- الغصن التاسع: معرفة الشيخ محمد بالداء الذي أمرض الأمة.

الفصل الأول
نسبه وموطنه

أولاً: كان الشيخ ذا نسب في قومه:

للنسب قيمة عظيمة فيمن يحمل هذا الدين، ويقود به الناس، وحسبنا أن نعلم أن رسل الله وأنبياءه كانوا من سلالة كريمة، فكل الرسل والأنبياء بعد نوح هم من ذرية نوح وجميع الرسل والأنبياء بعد إبراهيم هم من ذرية إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٦]. وقد أخبرنا رسولنا ﷺ فقال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه» [البخاري:٣٥٥٧] وفي مسند أحمد وسنن الترمذي عن الرسول ﷺ قال: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، إن الله تعالى خلق الخلق، فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً». [صحيح الجامع:٢/ ٢٦٥].

وإذا كان الذي يتصدى لإصلاح الأمة وتقويمها من ذوي الأنساب، فإن له من نسبه ما يقويه وينهضه، وقد وجد هذا في

العلاّمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، فقد كان ذا نسب في قومه.

وقد ساق الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام نسب الشيخ في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون»: ١/ ٢٥ فقال: «هو شيخ الإسلام، ومصباح الظلام، ومفيد الأنام، الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان، بن علي بن محمد بن أحمد ابن راشد بن بريد، بن محمد بن مشرف، بن عمر بن معضاد بن ريس ابن زاخر، بن محمد بن علوي، بن وهيب بن قاسم بن موسى، بن مسعود بن عقبة، بن سنيع بن نهشل، بن شداد، بن زهير بن شهاب ابن ربيعة ابن أبي سود، بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، ابن تميم بن مر بن إد، بن طابخة، بن إلياس بن مضر، بن نزار بن معد بن عدنان».

قال ابن بسام بعد سياقه لنسبه: «إلى عُقْبة منقول بالتواتر، ومن خطوط علماء الوهبة المعتبرين المجمع على علمهم وثقتهم واطلاعهم، من أمثال الشيخ سليمان بن علي، والشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ أحمد بن محمد البجادي، والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير، والشيخ عبدالمحسن بن شارخ المشرفي، والشيخ محمد بن أحمد القاضي، ومن عُقْبة إلى إلياس منقول عن

ثقات النسابين والمؤرخين من أمثال العالم النسابة ابن الكلبي صاحب الجمهرة في الأنساب، وياقوت الحموي الكاتب، ومن إلياس يأتي هذا النسب بالنسب النبوي الشريف». [علماء نجد: ١/ ٢٥].

وذكر الشيخ ابن بسام أن الشيخ يُنسب، فيقال: «المشرفي فنسبه إلى جدّه مشرف، فأسرته آل مشرف، ويقال: الوهيبي، نسبةً إلى جدّ أعلى هو وهيب، جدّ الوهبة، الذين هم بطن كبير من بني حنظلة في بني تميم، ويُنسب، فيقال: التميمي، نسبةً إلى أبي القبيلة الشهيرة عامة، وهو تميم، أما والدة الشيخ - رحمه الله - فهي بنت محمد بن عزاز المشرفي الوهيبي التميمي، فهي من عشيرته الأدنين» [علماء نجد: ١/ ٢٦].

والجهل بالأنساب يوقع الناس في الحرج، فقد تناقل الناس في هذا العصر أن بعض الذين حكموا بعض ديار الإسلام هم من أعداء الإسلام، أظهروا الإسلام، وعملوا حتى تسنموا المنصب الأول في الحكم، وقد وقع مثل هذا في بعض الأزمان الماضية، وكان هذا سبباً في إذاقة الأمة البلاء أشكالاً وألواناً.

ثانياً: ديار الشيخ وموطنه:

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من بطن من بطون بني تميم يدعى «الوهبة» وكان مقرهم بلدة «أشيقر»، إحدى بلدان الوشم، وكانت هذه البلدة منازل بني تميم منذ العهد الجاهلي، كان آباء الشيخ وأجداده من «آل مشرف» مقيمين فيها مع جماعتهم، وولد جدّ الشيخ، وهو سليمان بن علي في «أشيقر»، ونشأ فيها، وأخذ العلم عن علمائها، ثم طلبه أهل روضة سدير قاضياً لهم، فانتقل إليهم، ثم اختلف هو وبعض أعيان روضة سدير، فغضب الشيخ، وانتقل إلى العيينة، وصار قاضياً فيها، واستوطنها، وهناك تزوج سليمان من فاطمة بنت الشيخ أحمد بن محمد البسام، فولدت له عبدالوهاب والد الشيخ محمد، وابنه الثاني إبراهيم، وتوفي جد الشيخ وهو سليمان في العيينة.

ونشأ والد الشيخ محمد في العيينة وتعلم فيها، ثم صار قاضياً لها، وتزوج عبدالوهاب من ابنة محمد بن عزاز المشرفي، فولدت له محمداً عام (١١١٥هـ) الذي يوافقه (١٧٠٣م)، وترعرع في العيينة، وطلب العلم في أول أمره على والده. [علماء نجد: ١/ ٢٦، ٢٧، وانظر: ١/ ١٤].

الفصل الثاني
كان الشيخ سليل أسرة علماء

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله سليل أسرة علماء في بلاده نجد، فوالده عبدالوهاب عالمٍ كبير تولى قضاء مدينتي العيينة وحريملاء.

وجدّه الشيخ سليمان بن علي رئيس علماء نجد، وأوسعهم علماً، وأنبههم ذكراً، فهو مرجع علماء نجد عامة، ولي قضاء العيينة.

وكان عماه إبراهيم بن سليمان وأحمد بن سليمان من العلماء، وأخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب كان عالماً، وكان خاله أيضاً عالماً، وهو الفقيه الشيخ سيف بن محمد بن عزاز.

وقد ورث العلم أبناء الشيخ محمد، وكانوا من كبار أهل العلم في زمانهم، وكذلك أبناء أخيه سليمان كانوا من أهل العلم أيضاً. [راجع: علماء نجد: ١/ ٢٦. وكتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب. لأحمد ابن حجر: ص١٧].

وقد ورث علم الشيخ الكثير من ذرية الشيخ، فكانوا علماء أعلاماً، قاموا بما قام به جدهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

الفصل الثالث

المزايا والخصائص التي وهبها الله للشيخ

بعض العلماء ينصبون أنفسهم لتعليم المسلمين العلم الشرعي، فيدرسون الإسلام، ويعرفونه، ويؤلفون فيه المؤلفات، ويقيمون حلقات العلم، ويقصدهم طلاب العلم، وينهلون من علمهم في التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية وغيرها من العلوم، ولكن هؤلاء لا يغيرون مسار الأمة، ولا يوحدونها، وبعض العلماء لا يحتاج إلى توحيد الأمة، لأن دولة الإسلام قائمة، ومهمته أن يسدد مسيرة الأمة، ويصلح ما انحرف من مسارها، ويقوِّم اعوجاجها، ولكن المهمة تعظم عندما تزول الدولة الإسلامية، وينفرط عقدها، ويحتاج الأمر إلى أن يقيم العلماء والدعاة الأمة من جديد.

إن التشبع بالعلم وحده لا يكفي، بل يحتاج العالِم أن يجمع حوله الناس، ويعمق الإسلام في نفوسهم، ويجعلهم جنداً للإسلام، ويصوغ حياتهم، ويصوغ بهم الناس من حولهم، كما فعل الرسول ﷺ بعدما أمره الله بتبليغ الدعوة إلى الناس، فقد بلغ قومه دعوته، وأول من بلّغهم أقرباءه وعشيرته، وأخذ يجمع حوله من آمن به، وأخذ يصوغهم بالإسلام الذي أنزل إليه ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى

ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] وقال إبراهيم عليه السلام محمداً صفة الرسول الذي دعا الله أن يرسله في آخر الزمان من ذريته في الأمة المسلمة: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

لقد كان الرسول ﷺ يتلو على أصحابه آيات الله فيحفظونها ويفقهونها ويعملون بها، وكان يزكي نفوسهم بالإيمان وطاعة الرحمن، وكان يعلمهم الكتاب والحكمة، ولم يكتفِ بذلك، بل ربط بينهم برابطة الأخوة في الله، وجعلهم وحدة واحدة، وأمة واحدة، كوّنوا مجتمعاً إسلامياً، أفراده مسلمون، وأُسر ذلك المجتمع أفرادها مسلمون، وقد وضع الله للفرد منهجاً في نفسه، وللأسرة منهجاً يجعلها أسرة مسلمة، ووضع التشريع الذي يحكم ذلك المجتمع ويقوده، وجعل من أتباعه قوة تدافع عن كيانه ووحدته.

وقد حبا الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب بخصائص ومزايا أهلته للقيام بالدور الذي قام به، فقد أعطاه الله حافظة قوية أهلته

لحفظ كتاب الله قبل أن يتم العاشرة من عمره، وبلغ سن الرشد وله من العمر اثنا عشر عاماً، فزوّجه والده، ووكّل إليه إمامة الجماعة في تلك السن. [كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ص١٧].

ومن طالع ما ألفه الشيخ من مؤلفات وجده ذا عقل مبدع، يفقه النصوص من الكتاب والسنّة، ويحسن الاستدلال بها، ويستخلص منها العِبَر والأحكام، ومما يدل على البصيرة التي حباه الله بها أنه أقام الأمة في الجزيرة العربية على المحجة البيضاء، ومن يفعل مثل هذا الفعل لا يمكن أن يكون غبياً بليداً ضعيف العقل، فإن من كان كذلك لا يقدر على قيادة قطيع من الأغنام.

وقد قام الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب بإعادة الخطة التي اختطها رسولنا ﷺ ، قام بالدعوة إلى توحيد الله، وفقه دينه وتعلمه، وأخذ يزكي نفوس الذين ينحازون إليه، ويربط بينهم برباط الأخوة في الله، وبدأ ينتشر فيهم حَفَظَة كتاب الله، فكانوا يحفظونه، ويفقهون معانيه، ويريدون مقاصده.

وصاغ الشيخ منهجاً سهلاً مبسطاً يؤدي إلى تحقيق ما قصده، فألف المؤلفات المركزة السهلة التي تؤهل أتباعه إلى أن يفقهوا دينهم الحق، وبعضها لا يحتاج في دراسته وفقهه إلا لجلسة أو

جلستين، وبعضها إلى ثلاث أو أربع، والطويل منها يحتاج شهراً أو شهراً ونصف،، قال الشيخ حسين بن غنام في كتابه: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزواته» (فيما نقله عنه محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان، ص٤٠٨): «ولد رحمه الله في العيينة سنة خمسة عشرة بعد المائة والألف في بلد العيينة من البلدان النجدية، فأنبته الله نباتاً حسناً، وجلا به عن طرف وسنا، وبقي بعد سنّ الطفولة زمناً يتعلم تلاوة القرآن، معتزلاً غالب الأوقات عن لعب الصبيان، ولهو الجهال والغلمان، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلبه قبل بلوغ العشر، وكان حاد الفهم سرياً، وقّاد الذهن ذكياً، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، ألمعي فطن.

اشتغل في العلم على أبيه، وجدّ في الطلب، وأدرك بعض الأرب، وهو في بلد العيينة في تلك الحال، قبل رحلته لطلب العلم والارتحال، وتطوافه له في كثير من البلاد، حتى نال منه المراد، وفاز بالسعد والإسعاد، وحاز الرشد والإرشاد.

وكان والده قد توسم ذلك فيه، ويحدث بذلك ويبديه، ويؤمل ذلك منه ويرجوه، كما حدث بذلك سليمان أخوه، قال: كان عبدالوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراكه، قبل بلوغه وإدراكه،

ومناهزته الاحتلام وإفراكه، ويقول أيضاً: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام، أو قريباً من هذا الكلام.

وقد كتب والده رسالة إلى بعض إخوانه نوّه فيها بشأنه؛ ويثني فيها عليه، وأن له فهماً جيداً، ولو يلازم الدرس سنة لظهر في الحفظ والإتقان آية، وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام، ورأيته أهلاً للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدمته لمعرفته بالأحكام، وزوجته بعد البلوغ في ذلك العام، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبته بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام، وأدى المناسك على التمام، ثم قصد مدينته ﷺ، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك، فائزاً بأجر الزيارة والمناسك، وأخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب أحمد، فسلك فيه الطريق الأحمد، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه، بحيث أنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراس، من غير سآمة ولا نصب ولا التباس».

الغصن الرابع
طلب الشيخ للعلم ورحلته في طلبه

كان في نجد في زمن الشيخ محمد وقبل ظهوره علماء كثيرون، إلا أن جلّ اهتمامهم كان بالفقه والمسائل الفرعية، وقد كانوا مهتمين ببحث مسائل الفقه وتحريرها وتحقيقها، وحفظ متونها، واستيعاب شروحها وحواشيها، أما العلوم الشرعية الأخرى فنصيبهم فيها قليل، فلم يكن لهم عناية بالتوحيد وتحقيقه، ولا بالتفسير، ولا الحديث وشروحه، حتى علوم العربية لا يهتمون بها إلا بما يقيم اللسان.

ولذلك فإن علماء تلك الديار لم يكونوا ينكرون على العامة ما هم واقعون فيه من تعظيم القبور، والغلو في الصالحين، والنذر لغير الله، والحلف بغير الله، والاعتقاد في بعض المسميات، وكان هؤلاء العلماء يرون جواز التوسل بذوات الصالحين، وكانوا يجيزون شدّ الرحال إلى القبور، فكان عند علماء نجد وعند عامتهم ما عند علماء الأمصار وما عند عامتهم من الأمور البدعية الشركية. [علماء نجد:١/ ٢٨].

وقد أحسن الله بالشيخ إذ حبب إليه الرحلة في طلب العلم، وتلقيه عن غير أهل بلده، فقد خرج من بلده إلى الحج في مطلع

شبابه، وبعد أن أتم حجّه، انطلق إلى المدينة المنورة، وأخذ العلم عن علمائها، وقد وجد فيها عالمين سلفيين. الأول: الشيخ عبدالله ابن إبراهيم بن سيف بن عبدالله الشمري السديري النجدي، وهو من أهل المجمعة عاصمة سدير، وكان الشيخ عبدالله عالماً محبّاً للعلم وأهله، وقد جمع في منزله مكتبة عامرة في مختلف العلوم.

وقد عمق الشيخ عبدالله في تلميذه محمد حبّ العلم الذي يعني بأصل الدين كله، وهو التوحيد، وأثار فيه ما عليه أهل نجد من الشرك والضلال، ودلّ الشيخ عبدالله بن إبراهيم تلميذه محمد ابن عبدالوهاب على الشيخ العلاّمة المحدث محمد حياة السندي[1] الذي كان يسكن المدينة آن ذاك، وكان صاحب عقيدة صافية، وعلم وافر، وكان يمقت ما كان عليه أهل زمانه من البدع والخرافات والشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، وأخذ العلم عن غيرهما من أهل العلم في المدينة في ذلك العصر، كالشيخ علي أفندي الداغستاني، والشيخ إسماعيل العجلوني، والشيخ عبداللطيف العفالقي الأحسائي، والشيخ محمد العفالقي الأحسائي. [الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لأحمد ابن حجر: ص١٨-١٩].

(١) هذا هو العالم السلفي الثاني الذي أثر في الشيخ محمد من أهل المدينة.

ثم عاد الشيخ إلى دياره في العيينة، ومكث فيها قليلاً من الوقت، ثم رحل الشيخ إلى مدينة البصرة في العراق للاستفادة من العلم، فقرأ على علمائها، ومن أشهر من قرأ عليه الشيخ محمد المجموعي البصري، وكان صاحب علم واسع في النحو واللغة والحديث وغيرها.

وقد أفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب شيخه محمد المجموعي العقيدة الصحيحة، وقد حدث الشيخ عثمان بن منصور الذي ذهب إلى البصرة والزبير أن أولاد الشيخ محمد المجموعي أحسن أبناء بلادهم عقيدة وصلاحاً بفضل الله تعالى، ثم ببركة اجتماع والدهم بالشيخ محمد رحمه الله.

وقد أخرجه أهل البصرة لما أنكر عليهم ما هم عليه من البدع والشرك، فارتحل إلى مدينة الزبير،وأراد بعد ذلك مواصلة السفر إلى الشام للالتقاء بعلمائها والأخذ عنهم، فضاعت نفقته التي كانت معه، فانثنى عزمه عن المسير إلى الشام، وقصد الأحساء.

ونزل الشيخ محمد في الأحساء على العالم المشهور الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي الشافعي، فأكرمه وأحسن وفادته، واجتمع بعلماء الأحساء، ومن العلماء الذين اجتمع بهم هناك الشيخ عبدالله بن فيروز أبو محمد الكفيف، وكان

عبدالله هذا ابن عمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد وجد الشيخ محمد عند الشيخ عبدالله كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكان الشيخ عبدالله صاحب عقيدة صحيحة، وكان عالماً بعقيدة الإمام أحمد. [علماء نجد: ١/ ٢٩-٣٠، ومحمد بن عبدالوهاب لأحمد بن حجر: ص١٩].

الفصل الخامس

نبوغ الشيخ محمد في علوم الشريعة وعلوم العربية

أصبح الشيخ محمد بن عبدالوهاب بعد أن عاد إلى وطنه من رحلاته العلمية عَلَماً من الأعلام، ناصراً للسنّة قامعاً للبدعة، خبيراً مطلعاً، إماماً في التفسير والحديث والفقه وأصوله، وعلوم الآلة كالنحو والصرف والبيان، عارفاً بأصول عقائد الإسلام وفروعها، كشافاً للمشكلات، حلاّلاً للمعضلات، فصيح اللسان، قوي الحجّة، مقتدراً على إبراز الأدلة وواضح البراهين، بأبلغ عبارة وأبينها، تلوح على محياه علامات الصلاح وحُسْن السيرة، وصفاء السريرة، يحب العباد ويغدق عليهم من كرمه، ويصلهم ببره وإحسانه، ويخلص لله في النصح والإرشاد، كثير الاشتغال بالذكر والعبادة، قلما يفتر لسانه عن ذكر الله.

وكان يعطي عطاء الواثق بربه، ويتحمل الدين الكبير لضيوفه ومن يسأله، وكان عليه أبهة العظمة، ينظره الناس بعين الإجلال والتعظيم مع كونه متصفاً بالتواضع واللين مع الغني والفقير، والشريف والوضيع.

وكان يخص طلبة العلم بالمحبة الشديدة، وينفق عليهم من ماله، ويرشدهم على حسب استعدادهم، وكان يجلس كل يوم عدة مجالس، ليلقي دروسه في مختلف العلوم، من توحيد وتفسير وحديث وفقه وأصول وسائر علوم العربية.

وكان عالماً بدقائق التفسير والحديث، وله الخبرة التامة في علله ورجاله، غير ملول ولا كسول، من التقرير والتحرير والتأليف والتدريس.

وكان الشيخ صبوراً عاقلاً حليماً، لا يستفزه الغضب إلا أن تنتهك حرمات الدين، أو تهان شعائر المسلمين، فحينئذٍ يناضل بسيفه ولسانه، معظماً للعلماء، منوهاً بما لهم من الفضائل، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، غير صبور على البدع، ينكر على فاعليها بلين ورفق، متجنباً الشدة والغضب والعنف، إلا أن تدعو إليه الحاجة. [محمد بن عبدالوهاب: ص٣٤-٣٥].

الفصل السادس
كان الشيخ عالِماً ربانياً متألهاً

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب عالِماً ربانياً متألهاً، يكثر من ذكر الله، والخضوع لجلال الله وعظمته، ويكثر البذل والعطاء، ويكثر من التعليم والتدريس وتفقيه الناس، قال ابن بشر في أحداث سنة ١٢٠٦هـ: «وفي هذه السنة توفي شيخ الإسلام مفيد الأنام، قامع المبتدعين، ومشيد آيات الدين، ومقرر دلائل البراهين، محيي معالم الدين بعد دروسها، ومظهر آيات البراهين بعد أفول أقمارها وشموسها، الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن الشيخ الفقيه العالِم سليمان بن علي، وكان رحمه الله كثير الذكر لله، قَلّ ما يفتر لسانه من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وكان إذا جلس الناس ينتظرونه يعلمون إقباله إليهم قبل أن يروه من كثرة لهجه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وكان عطاؤه عطاء من وثق بالله عن الفقر، بحيث إنه يهب الزكاة والغنيمة في مكان واحد، ولا يقوم ومعه منها شيء، ويتحمل الدين الكثير لأضيافه وسائليه والوافدين عليه، وعليه الهيبة العظيمة التي ما سمعنا أنها اتفقت لغيره من الرؤساء وغيرهم، وهذا شيء وضعه الله له في القلوب، وإلا فما علمنا أحداً ألين ولا

أخفض منه جانباً لطالب علم، أو سائل أو ذي حاجة أو مقتبس فائدة، وكان له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها، وانتفع الناس بعلمه».

الفصل السابع

علم الشيخ بالطريق الذي يسوس به أتباعه

ولا بد لمن يريد القيام بإصلاح الأمة والنهوض بها، أن يكون عالماً بالطريق التي يدير بها الدفة لبناء الجموع التي تلتحق به، ويسير بها إلى الإمام خطوة خطوة، وإلا فإن أتباعه من حوله يتفرقون عنه، ومن لاحظ ما كان عليه الرسول ﷺ من العناية بأصحابه، وسياستهم، وتربيتهم، والاهتمام بأمورهم، يعلم صدق هذا الذي تحدثنا عنه.

وقد كان الرسول ﷺ يربي أصحابه بالإسلام، فكانوا يدخلون فيه، ويدرسون كتابه القرآن الكريم، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار، ويكثرون من ذكر الله، والصلاة والزكاة، والصيام والحج، وأعمال البر، وكان هذا يصوغ حياتهم على منهج سويٍّ قويم، ويزيل من نفوسهم الخبث والفساد، ويجعلهم مسلمين مؤمنين صالحين، ويقرب فيما بينهم.

ومن ينظر في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فإنه يجده قد عنى بأصحابه وأتباعه، فكان لهم أباً ومعلماً ومرشداً، أرشدهم إلى طريق العلم، واشتغل بتزكيتهم، ومن أول أمره كان يتطلع إلى بناء دولة، وكان يدعو الناس إلى الخلاص من الضلال الذي يعيشون فيه، وقد صدع بذلك في مدينة البصرة، وأنكر على الناس ضلالهم وباطلهم، فأنكر على أهل البصرة ما هم فيه من البدع والخرافات، وتضرعهم بأصحاب القبور، فقابلوه بالتكذيب، وأخرجوه من مدينتهم في حرّ الهاجرة، فقصد مدينة الزبير في وقت الصيف وشدة الرمضاء، ماشياً على رجليه، وكاد يهلك من شدة الظمأ، ولكن الله نجّاه، فقد ساق له رجلاً من أهل الزبير، فرآه من أهل العلم والصلاح، فحمله على حماره، حتى أوصله مدينة «الزبير». [محمد بن عبدالوهاب: ص١٩-٢٠].

ولما عاد إلى موطنه الذي وُلد فيه، وهو العيينة، وكان حاكمها آن ذاك عثمان بن حمد بن معمر، فتلقى الشيخ بالإجلال والإكرام، وبيّن له الشيخ دعوته التي يدعو إليها وشرح له معنى التوحيد، وبصره بمعنى «لا إله إلا الله» فتقبل أمير العيينة منه ما جاء به، ورحب به، وناصره، فأخذ الشيخ يعلن دعوته، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقطع الأشجار التي تعبد من دون

الله، وهدم قبة قبر زيد بن الخطاب بمساعدة أمير العيينة، وأقام الحد على امرأة اعترفت بالزنا مراراً بعدما تأكد من صحة عقلها، وكمال حواسها.

ولكن مقام الشيخ لم يطل في العيينة، فقد كتب أمير الأحساء، وهو سليمان بن محمد بن عرير إلى أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر، يتهدده ويتوعده بسبب نصرته للشيخ، فطلب عثمان من الشيخ أن يخرج من بلده، ولم يفد وعظ الشيخ فيه ونصحه له، وإعلامه أن المصلح لا بد أن يناله الأذى، وخرج الشيخ من العيينة ماشياً على رجليه في شدة حر الصيف، وكان الشيخ لا يفتر عن ذكر الله، وترديد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] فصرف الله كيد الفارس الذي كان معه من خلفه، ووصل مدينة الدرعية واتصل هناك بأميرها محمد بن سعود، وشرح له دعوته، ودعاه إلى التوحيد، وتلا عليه آيات الله الدالة على بطلان عبادة غير الله، وضلال ما كان عليه أهل نجد، وشرح الله قلب محمد بن سعود لدعوته وأحبه، ووقف معه، وشرط عليه الأمير شرطين:

الأول: أن لا يرجع الشيخ عنه إن نصرهم الله ومكّنهم.

والثاني: ان لا يمنع الامير من الخراج الذي ضربه على اهل الدرعية وقت الثمار، فعاهد الشيخ الأمير على الأول، وقال له: الدم بالدم، والهدم بالهدم.

وقال له في الثاني: فلعل الله يفتح عليك الفتوحات، وتنال من الغنائم ما يغنيك عن الخراج. [محمد بن عبدالوهاب: ص٢٧-٣١].

الغصن الثامن
قدرة الشيخ على مواجهة الخصوم

لا بد لمن يريد إقامة الأمة على المنهج القويم أن يكون قوياً في مواجهة المعارضين والمخاصمين، وبعض الناس يكون ضعيفاً لا يستطيع المواجهة لا في ميدان الخصام بالحجة والبرهان، ولا يستطيع المواجهة في ميدان الحرب والقتال، فيكون صيداً سهلاً لمخاصميه، فيعصفون به، وتذهب جهوده هدراً.

لقد كان الأنبياء والرسل في القمة في حملهم الدعوة إلى الله، وكانوا يدعون قومهم إلى الله، ويحسنون البيان، وكانوا يصبرون على ذلك الزمن الطويل من غير تأفف، انظر إلى نبي الله نوح الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وانظر إلى مناصحته قومه تلك السنوات الطوال ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن

قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:١-٤].

وانظر إلى ما قام به نوح تجاه دعوته، فقد أخبرنا الله تعالى أنه قال لربه مجملاً ما قام به: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:٥-١٢].

إنه جهد طويل مبذول بغير حدود، وهذا الذي سمّاه الله بالقوة، وقد أمر الله يحيى عليه السلام أن يأخذ نفسه به، فقال له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] وقد كان الرسل والأنبياء في القمة في الحجاج كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣] فالمدد الإلهي الذي يأتيهم من عند الله فيه الحجج البالغة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩].

فقد كان علماء الأمة الإسلامية ودعاتها على مر التاريخ الإسلامي يديمون النظر في أحوال الأمة الإسلامية، ويقوِّمون اعوجاجها، ويصلحون ما فسد منها، ويقفون في وجه الخطوب التي تريد اغتيالها والقضاء عليها، لقد وقف أبو بكر الصديق ومن ورائه الصحابة الكرام صفاً واحداً في وجه المرتدين ومانعي الزكاة حتى عادوا إلى حظيرة الإسلام، واجتاح الصليبيون ديار الإسلام في حملات متلاحقة في أزمنة متعاقبة، فقام لهم المسلمون مرة بعد أخرى، حتى ردوهم على أعقابهم خاسرين، واجتاح التتار العالم الإسلامي، وظن كثير من الناس أن الإسلام والمسلمين إلى زوال، خاصة بعد أن دمر التتار عاصمة المسلمين الكبرى بغداد، فأتت الجيوش المصرية، فأطاحت بتلك الجيوش التي لم تعرف الهزيمة من قبل.

ومن أحاط علماً بالشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته علم القدرة التي حباه الله بها في مواجهة الخصوم، فقد كانت نجد ومن ورائها الجزيرة العربية والعالم الإسلامي، تموج بالشرك في عصر الشيخ، وقد حركت دعوته أهل نجد فخاصموه وسفّهوه، وكان وهو يرى التيار الجارف الذي يواجهه كالجبل الأشم، يعلم ويدرس ويفقه، ويبني أتباعه، ويراسل العوام والعلماء والأمراء،

ويبين ويسدد، ويشرح ويوضح، ويدرب أتباعه على الحرب والقتال، ويرسل الجيوش، ويستقبل المعارضين، ويستضيفهم، ويحاورهم، ويدلهم على الحق، ويبطل ما عندهم من باطل، ولم يكن يضعف أو يهون في ميدان النزال، حتى أعزه الله ونصره.

وكان دقيقاً في علمه، يفقه ما يعرض عليه، ويبصر ما فيه من الهدى والنور، ويضع يده على ما فيه من الضلال، ويشيد بالحق الذي يراه في الآخرين ومؤلفاتهم ورسائلهم، وينبه على الخطأ، ويسدده، ويهدي للتي هي أقوم.

الفصل التاسع

معرفة الشيخ محمد بالداء الذي أمرض الأمة وفتك بها

لا يجوز لمن يتصدى لإصلاح أمته أن يكون جاهلاً بالداء الذي يأخذ بخناقها، ويكتم أنفاسها، ويوردها إلى الهاوية، ومهما كان الداء فلا بد أن يأخذ بيدها إلى الله أولاً، ويعبدها له وحده لا شريك له، ويفتح قلوبها لتستنير بنوره، وتهتدي بهداه، وتقيم حياتها وفق شرعه.

وقد فقه العلاّمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى دين الله، وغاص في بحوره، ووصل إلى الأصول التي يقوم الدين الحق عليها، وتعرف إلى التوحيد الذي حمله الرسل والأنبياء إلى

أممهم على مدار التاريخ، فالرسل والأنبياء ومن سار مسارهم على طريقهم كلهم دعاة إلى الله، يعرفون الناس بالله ربهم، ويدلونهم عليه، فالمسلم الحق هو الذي يدور في حياته كلها حول إلهه ومعبوده ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] وهذه هي العبادة التي خلق الله الناس من أجل تحقيقها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

ومعرفة العبد أن الله تبارك وتعالى هو الواحد الأحد، والواجب عليه عبادته دون سواه هو الركيزة الكبرى التي تدور حولها تعاليم القرآن الكريم والسنّة النبوية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

وقد أعلمنا ربنا تبارك وتعالى أن من أشرك بالله تعالى، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، وأنه بعيد عن رحمة الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقد وجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب أهل عصره وبخاصة بلاده نجد قد غرقوا في عبادة القبور، فقصدوهم من دون الله، واستغاثوا بهم مع الله، ودعوهم من دون الله، ففعلوا بهم فعل أهل الجاهلية بأصنامهم وأوثانهم، وقد ذكر الشيخ أحمد بن حجر بوطامي أن نجداً في ذلك العصر كانت مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة، وكان فيها كثير من القبور التي تُنسب إلى بعض الصحابة، وكان الناس يحجون إليها، ويطلبون منها حاجاتهم، ويستغيثون بها لدفع كروبهم، ففي مدينة الجبيلة يقصدون قبر زيد بن الخطاب، يتضرعون لديه، ويسألونه حاجاتهم، وكان في «الدرعية» قبر لبعض الصحابة يقصده الناس بحاجاتهم، وأغرب من ذلك وأعجب نصبهم في بلدة «منفوحة» لفحل من فحول النخل، تقصده العوانس اللواتي لم يتزوجن، فتأتيه من لم تتزوج من النساء وتخاطبه قائلة: «يا فحل الفحول، أريد زوجاً قبل الحول».

وكان في مدينة «الدرعية» غار يقصدونه يقولون: إنه كان ملجأً لإحدى بنات الأميرات، كانت قد فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة، وكان الناس يقصدون ذلك الغار، ولهم فيه عقائد عفنة فاسدة.

وفي شِعْب «غبيرا» قبر ضرار بن الأزور، كانوا يشركون به ما لم ينزل الله به سلطاناً، ويفعلون عنده المنكرات.

ورأى الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الحجاز من تقديس قبور الصحابة وآل البيت ما لا يجوز إلا مع رب الأرباب، ورأى في البصرة والزبير، وسمع أن في العراق والشام ومصر واليمن ما لا يستسيغه عقل، ولا يقره الشرع، وليس له نظير إلا ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام.

وكانت نجد في ذلك العصر منقسمة إلى ولايات عديدة، يحكم كل واحدة منها أمير، وكان هؤلاء الأمراء في حروب دائمة، كل واحد منهم يعد لمحاربة جيرانه، فإذا تهيأت له الفرصة انقضّ عليه انقضاض الأسد على الفريسة. [الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ص٢٢-٢٤].

المطلب الثالث
المراحل التي سلكها الشيخ في إقامة دعوته

الفصل الأول
الرجوع إلى الديار والاستقرار فيها

يرى شيخنا العلاّمة عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى أن الشيخ رجع إلى بلاده في عام (١١٤٠هـ) أو في السنوات التالية لها،

لأن والده تولى القضاء في «حريملاء» في عام (١١٣٩هـ) والشيخ رجع إلى «حريملاء» بعد تولي والده القضاء هناك.

عاد الشيخ إلى مقر والده وقد جاوز الخامسة والعشرين من عمره، وكان قد استوعب من أحوال الناس ومعتقداتهم ما أسخطه، كما جالس العلماء في هذه الأمصار، وعرف ما عندهم من ضروب الاستقامة والانحراف، فزادته هذه الرحلة بصيرة وخبرة وعلماً وإدراكاً للأمور.

ولما استقر الشيخ في «حريملاء» استأنف القراءة على والده، وصار له أوقات خاصة، يطالع فيها كتب التفسير والحديث والأصول، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، فوجد في كتب هذين الإمامين من العلوم الصحيحة والأقوال المبنية على الكتاب والسنّة والتحقيق والأحكام المطابق للعقل والنقل ما زاده بصيرةً وفهماً وتحقيقاً. [علماء نجد: ١/ ٣١].

الفصل الثاني
بدأ الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سن مبكرة

بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب الدعوة إلى الله. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سن مبكرة، فقد هاله ما رأى عليه

الناس من البدع والمعاصي والشرك في مدينة البصرة أثناء رحلته لطلب العلم، فسّر هذا شيخه المجموعي وبعض من كان حوله، وأما عامة الناس وخاصتهم فلم يقبلوا منه، وآذوه أذىً شديداً، وأخرجوه من مدينتهم وقت الهاجرة، فخرج من البصرة متوجهاً إلى مدينة الزبير ماشياً وحده، فأدركه العطش الشديد، وأشرف على الهلاك، فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له: أبو حميدان، من أهل بلدة الزبير، فسقاه وحمله على حماره، حتى وصل الزبير. [علماء نجد:١/ ٣٠].

الفصل الثالث
الجهر بالدعوة في حريملاء

وعندما عاد إلى حريملاء نادى فيهم بالعقيدة الصحيحة، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله الواحد الأحد، فصادف معارضة قوية، ومشادة متينة، وأذية كبيرة.

وقد بدأ الدعوة في حياة والده، فكان والده لا يريد منه الشدة على الناس إلا أن الشيخ كان مصمماً على ما أراد، ولكنه لم يجهر بدعوته إلا بعد وفاة والده، فجلس للتدريس والإفادة وتقرير العقيدة الصحيحة، وتبعه بعض أهل حريملاء، ثم اشتهر أمره

وذاع صيته، وشاع خبره، فوفد عليه أناس كثيرون من البلدان المجاورة، وشرعوا في القراءة عليه التفسير والحديث والتوحيد والسيرة والفقه، فكثر أتباعه، فصار ينكر ما كان مخالفاً للشريعة.

الفصن الرابع
تأثيره في والده واسرته

وقد أثّر الشيخ في والده وإخوانه وأولاده، وقد قال والده في رسالته إلى بعض إخوانه عن ابنه محمد: «وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض أهل البصرة أعلامه، وحقق لهم في ذلك الشأن إتقانه وأعلامه، وأوضح لهم سبيله وأحكامه، فقال: إن الدعوة كلها لله، يكفر من صرف شيئاً منها إلى سواه، وإذا ذكر أحد بمجلسه بشارات الطواغيت أو الصالحين، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين، نهاه عن ذلك وزجره، وبيّن له الصواب وحذّره، وقال له: محبة الأولياء والصالحين إنما هي في اتباع هديهم وآثارهم، والاستنارة بضياء أنوارهم، لا صرف الحقوق الربانية إلى الأجسام الوثنية، وقد وقع ذلك بمجلسه مرة، فأبدى للقائل نهيه وزجره، وأظهر عليه إغلاظه ونكره، فتغير وجه القائل وجال، واستغرب ذلك المقال، وقال: إن كان ما يقوله حقاً هذا الإنسان، فالناس ليسوا على شيء من زمان.

وقال رحمه الله: وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إليّ بشبهات يلقونها عليّ، فأقول وهم قعود لديّ: لا تصلح العبادة كلها إلا لله، فيبهت كل منهم، فلا ينطق فاه». [راجع في هذا: صيانة الإنسان، ص٤١٠].

وهذا الذي نقلناه عن والد الشيخ محمد يدل على أنه استوعب ما دعا إليه الشيخ واقتنع به، وقد ربى الشيخ أبناءه وبعض حفدته، فأصبحوا علماء أعلام، وهم أولاده الأربعة عبدالله وحسين وعلي وإبراهيم وحفيده عبدالرحمن بن حسين.

وقد عاداه في أول أمره أخوه الشيخ سليمان بن عبدالوهاب، ولكن سليمان رحمه الله رجع إلى الحق والصواب، وتاب وأناب، وقد أورد الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي رسالة الشيخ سليمان بن عبدالوهاب إلى الإخوان أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد ابني عثمان بن شبانة في كتابه «صيانة الإنسان» ص٤٦٨، ذكر فيها توبته ورجوعه إلى الحق الذي قرره أخوه الشيخ محمد رحمه الله، ويؤكد هذا المعنى الرد الذي قام به المرسل إليهم في الرسالة الجوابية التي ذكرها صاحب كتاب «صيانة الإنسان».

الفصل الخامس
انتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة

أنكر الشيخ على بعض موالي رؤساء حريملاء فسقهم وفجورهم وتعديهم وأذيتهم، فهمّ هؤلاء الأوباش بالفتك به وقتله سرّاً، وتسوروا عليه جدار بيته، فعلم بهم الناس، وصاحوا بهم، فهربوا.

فأراد الشيخ البُعد عن هؤلاء الأشرار، وطلب دياراً واسعة ومكاناً رحباً، فاختار الانتقال إلى مدينة العيينة، وكانت أكبر بلدان نجد وأكثرها سكاناً، فقصدها وأميرها يومئذ عثمان بن حمد بن عبدالله بن محمد بن معمر، فاستقبله الأمير بالحفاوة والإكرام وقبول دعوته، وناصره وآزره، وألزم الخاصة والعامة بامتثال أمره، وقبول قوله، فزاد الشيخ من نشاطه، وانتقل من مرحلة القول إلى مرحلة الفعل والتنفيذ، فقطع الأشجار المعظّمة، وكسّر الأحجار المقصودة، وهدم القباب المشيدة على القبور، ومنها القبة المنسوبة لزيد بن الخطاب، فاشتهر أمره، وطارت أخباره، وذاع صيته، وكثر أتباعه.

وصاحب هذا النجاح الكبير أن المعاندين والمبغضين أذاعوا عنه الأكاذيب، وأشاعوا عنه البهتان ورموه بالزور، وبلغت دعوته حاكم الأحساء سليمان بن محمد بن عريعر الحميدي الخالدي،

بلغته مشوهة محرفة، وخاف منها على سلطانه، فكتب إلى الأمير عثمان بن معمر آمراً إياه بإخراج الشيخ من بلده، وتهدده بقطع المرتبات الشهرية التي يرسلها إليه، وغزوه وقتاله إن لم يستجب لما يطلبه منه.

واستجاب أمير العيينة لما طلبه منه ابن عريعر، وطلب من الشيخ أن يخرج من بلده.

الفصل السادس
خروج الشيخ إلى الدرعية ومعاهدته أميرها

ارتحل الشيخ محمد من العيينة وقصد الدرعية، وهي يومئذ قرية يتداول الحكم فيها ذرية الأمير مانع بن ربيعة المريدي الحنفي، جد الأسرة السعودية الحاكمة اليوم، وكان الحاكم عند قدوم الشيخ إليها الأمير محمد بن سعود.

وصل الشيخ الدرعية، ونزل ضيفاً عل أحد تلامذته، وهو الشيخ أحمد بن سويلم العريني في عام ١١٥٨هـ.

فلما استقر فيها، وعلم بمقدمه أمير الدرعية جاءه في دار أحمد ابن سويلم، فقابله بالحفاوة والتكريم، وقال له: أبشر أيها الشيخ بالمنعة والنصرة، فأجابه الشيخ بقوله: وأنا أبشرك بالأجر والعز

والتمكين والغلبة، ومن تمسك بكلمة التوحيد، ونصرها، أيّده الله في الدنيا ومكّنه، وأجزل أجره في الآخرة.

وأخذ الشيخ يبين للأمير حقيقة الإسلام، ويبين له أصل التوحيد، وبيّن له ما عليه أهل نجد من الضلال والجهل والبدع والشرك.

فقال له الأمير: لا شك أن ما دعوت إليه أيها الشيخ هو دين الله الصحيح، وحقيقة العقيدة، وأن ما عليه أهل نجد هو ضلال، ولكن أخشى إن نحن أيدناك ونصرناك، وجاهدنا معك أن تتركنا إلى غيرنا، كما أن لنا على أهل الدرعية قانوناً نأخذه عليهم وقت حصاد الزروع وقطع الثمار، وأخشى أن تحرمه علينا، وتمنعنا منه. فأجابه الشيخ عن الأولى بالمعاهدة على البقاء معه مهما امتدت به الأيام وغيرت الأحوال.

وأجابه عن الثاني بأن الله تعالى سيعوضه عن هذا القانون بما يقبضه من الأموال الشرعية، فتعاقدا وتعاهدا على ذلك. [علماء نجد: ١/ ٢٣-٢٤].

وقال ابن غنام متحدثاً عن هذه الفترة من حياة الشيخ محمد بعد وصوله الدرعية في كتابه «تاريخ نجد»: «فلما سمع الأمير محمد

ابن سعود بقدوم الشيخ إلى بلده، قام من فوره مسرعاً إليه ومعه أخواه (ثنيان، ومشاري)، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلّم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده.

فأخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله ﷺ، وما دعا إليه، وما كان عليه صحابته رضي الله عنهم من بعده، وما أمروا به، وما نهوا عنه، وأن كل بدعة ضلالة، وما أعزهم الله إلا بالجهاد في سبيل الله، وأغناهم به، وجعلهم إخواناً، ثم أخبره بما عليه أهل نجد في زمنه من مخالفتهم لشرع الله وسنّة رسوله بالشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والظلم.

فلما تحقق الأمير محمد بن سعود معرفة التوحيد، وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية قال له: يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، فأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين: نحن إذا قمنا في نصرتك، والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان، أخاف أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا؛ والثانية: أن لي على الدرعية قانوناً آخذ منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول: لا

تأخذ منهم شيئاً. فقال الشيخ: أما الأولى فابسط يدك: الدم بالدم، والهدم بالهدم. وأما الثانية: فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات، فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منهم». اهـ.

الغصن السابع

اسم الدعوة التي أقامها الشيخ محمد عبدالوهاب

الذي يدرس تاريخ الدعوة التي أقامها الشيخ محمد بن عبدالوهاب يجد أنه لم يضع لهذه الدعوة اسماً خاصّاً بها، فدعوته كما كان يقول قائمة على الدين الذي جاء به محمد ﷺ، ولبّها هو التوحيد الذي فصّله القرآن الكريم، وصحيح السنّة النبوية، ودعوته تحارب الشرك الذي نمت وعلت شجرته الخبيثة في ديار الإسلام، فالجماعة التي أقامها الشيخ هم أتباع الدين الحق، وهم أهل التوحيد، وهم إخوان من أطاع الله، وقد حاول خصومها تسويد صفحتها، وتقبيح صورتها عند الناس، فادعوا أن هذه الدعوة تسمى بالوهابية، وهي دين جديد، ومذهب خامس، يضاف إلى المذاهب الأربعة التي يذهب كثير من أهل السنة إليها دون غيرها.

وهذه التسمية التي سموه بها، وأطلقوها على دعوته، غير صحيحة، فالشيخ لم يطلقها على نفسه وأتباعه، وأتباعه لم يرضوا بها

لأنفسهم، والوهابية إضافة إلى عبدالوهاب والده، وتسمية ما كان عليه الشيخ وأتباعه باسم أبيه بعيد عن الصواب، وقد بيّن الشيخ وعلماء دعوته أنهم لم يأتوا بمذهب جديد، فمذهبه هو مذهب أهل السنّة والجماعة، وهي العقيدة التي كان عليها الصحابة، وعلماء التابعين وفقهاء الأمصار ومحدثوهم، والمفسرون المرموقون، أمثال الأئمة الأربعة، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وأمثال البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي، والدارمي وابن عيينة والطبري وغيرهم.

وهم في الفقه متبعون لمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويرجحون كثيراً ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وبعد أن قويت دولتهم أكثروا من طبع كتب الحنابلة، وكتب ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وأضرابهم.

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى مبيناً ما هو عليه: «ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له. وأدعو إلى سنّة رسوله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم

كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، وحاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق».

وقد أبرز الشيخ مسعود الندوي في كتابه «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم» الهدف الذي قصده خصوم دعوة الشيخ من وراء إطلاق مصطلح الوهابية عليه وعلى دعوته، فقال: «إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها بالوهابية، ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يبثوا أنها دين خارج على الإسلام، واتحد الإنجليز والأتراك والمصريون، فجعلوها شبحاً مخيفاً، بحيث كلما قامت أي حركة إسلامية في العالم الإسلامي في القرنين الماضيين، ورأى الأوربيون فيها خطراً على مصالحهم، ربطوا حبالها بالوهابية النجدية، وإن ناقضتها».

وبعد أن زالت الدولة العثمانية، وزالت القوى المعاصرة لتلك الدعوة، وانتشرت كتب الشيخ، وتواصل العلماء في مختلف الأقطار وجدوا أن ما قيل عن الشيخ ودعوته مفتريات كاذبة، وما جاء به هو حق صواب لا ضلال فيه.

الفصل الثامن

الحروب التي قامت بين الموحدين ومن ناوأهم

صبر الأمير محمد بن سعود على عداوة الأقصى والأدنى من أهل نجد والملوك من كل جهة، وبادأهم دهام بن دواس أمير الرياض بالحرب، فهجم على الدرعية على حين غفلة من أهلها، فحاربهم وقتل أولاد محمد فيصلاً وسعوداً، فما زاد محمد إلا قوة وصلابة في دينه على ضعف منه، وقلة في العدد والعدة، وكثرة من عدوهم، وما جرى من ابن سعود شبيه بما جرى من الأنصار في بيعة العقبة، ثم إن بني خالد وأهل نجد وأهل العراق والأشراف والبوادى وغيرهم تجردوا لعداوة هذا الشيخ، ومن كان آواه ونصره، وأقبلوا على حربهم بعتادهم وجنودهم، فأبطل الله كيد من عاداهم، وكل من رام من هؤلاء الملوك وأعوانهم أن يطفئ هذا النور، أطفأ الله نوره، وجعله رماداً، وصار كثير من أموالهم فيئاً للمسلمين. [علماء نجد: ١/ ٣٥].

الفصل التاسع

دور الشيخ محمد في هذه الفترة العصيبة

وإذا كان الأمير محمد بن سعود هو الذي هيأه الله لنصرة الشيخ، فإن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان المعلم والمربي الذي يقيم النفوس على الهدى ودين الحق، وكان طلبة العلم يأتونه من كل مكان، فيعلمهم، ويربيهم، ويجعل منهم جنوداً يقاتلون في سبيل الله، وكان الشيخ يرسل الكتب إلى أمراء نجد وعلمائها يدعوهم إلى الله تعالى وإلى دينه الحق، والجيوش تبعث من الدرعية إلى ما يليها من القرى والمدن والبوادي، والشيخ من وراء هذا كله يجاهد بلسانه وقلمه، وينظم الجيوش، ويبعث البعوث مع الإمام محمد بن سعود، فقامت الدعوة على قدم وساق، واشتهرت وانتشرت، وصار لها مركز قوي بالدعاة والقوة المادية.

وقال ابن بشر في كتابه: «تاريخ نجد» متحدثاً عن جهود الشيخ في هذه الفترة: «أما محمد فهو شيخ الإسلام، والبحر الهمام الذي عم بركة علمه الأنام، فنصر السنّة وعظمت به من الله المنّة، بعد أن كان الإسلام غريباً فقام بهذا الدين ولم يكن في البلاد إلا اسمه، فانتشر في الآفاق، وكل أمر أخذ منه حظه وقسمه، وبعث العمال لقبض الزكوات، وخرص الثمار من البادي والحاضر بعد أن

كانوا قبل ذلك يسمون عند الناس مكاساً وعشاراً، ونشرت راية الجهاد بعد أن كانت فتناً وقتالاً، وعرف التوحيد الصغير والكبير بعد أن كان لا يعرفه إلا الخواص، واجتمع الناس على الصلوات والدروس، والسؤال عن معنى لا إله إلا الله وفقه معناها، والسؤال عن أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها وأذكارها.

فتعلم ذلك الصغير والكبير، والقارئ والأميّ، بعد أن كان لا يعرفه إلا الخواص، وانتفع بعلمه أهل الآفاق، لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه، فيقال لهم: يأمر بالتوحيد، وينهى عن الشرك، ويقال لهم: إن أهل نجد يمقتونكم بالإشراك مع الله في عبادته، ويكفرونكم بذلك، فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه، وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب، والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها، من جميع المواضع المضاهية لأوثان المشركين في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة وعُمان والأحساء ونجد وغير ذلك من البلاد، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر، فضلاً عن غيره، حاشى الرياء الذي قال فيه النبي ﷺ : «إنه أخفى في هذه الأمة من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل».

وأمر الشيخ جميع أهل البلدان من أهل النواحي، يسألون الناس في كل مسجد كل يوم بعد صلاة الصبح أو بين العشائين عن معرفة ثلاثة الأصول، وهي معرفة الله، معرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه، وما ورد عليها من الأدلة من القرآن، ومعرفة محمد ﷺ، ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول ما دعا إليه، وهو لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، والبعث بعد الموت، وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وفروض الوضوء ونواقضه، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد من أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله سبحانه كالدعاء والخوف والرجاء والذبح والنذر والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة وغير ذلك».

وقال ابن بشر أيضاً: «كفى بفضله شرفاً ما حصل بسببه من إزالة البدع، واجتماع المسلمين، وإقامة الجماعات والجمع، وتجديد الدين بعد دروسه، وقلع أصل الشرك بعد غروسه، وكان رحمه الله هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث السرايا على يد محمد بن سعود رحمه الله، ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونهم، والوفود إليهما والضيوف عنده، وصدور الأوامر من عنده، حتى أذعن أهل نجد، وتابعوا على العمل بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وبايعوا، فعمرت نجد بعد خرابها وصلحت بعد فسادها، واجتمعت بعد افتراقها، وحقنت الدماء بعد إزهاقها، ونال الفخر والفضل والملك من نصره وآواه، وملك حتى الحرمين الشريفين، واليمن وأقصى عُمان وما دونه وما وراءه، وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان تكون له الغلبة على من عاداه.

ولقد أحسن القائل:

وجرت به نجد ذيول افتخارها   وحق لها بالألمعي ترفع

وهذا البيت من مرثية الشيخ العالم حسين بن غنام.

وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كثيراً ما ينشد هذه الأبيات الثلاثة:

بأي لسان أشكر الله إنه   لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام فضلاً ونعمة   عليّ وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل   عليها اعتقادي يوم كشف السرائر

وقال الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق متحدثاً عن دور الشيخ في هذه الفترة: «كان الشيخ يُعلِّم العلم نهاراً، ويُعلِّم القتال ليلاً، ووفد إلى الدرعية طلاب العلم والمجاهدون من كل مكان في نجد،

وخاض الإمام محمد بن سعود وابناه عبدالله وعبدالعزيز ومن بعدهم سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، حروباً متطاولة استمرت أكثر من نصف قرن، استشهد فيها بضعة آلاف، وقتل فيها من غيرهم أكثر من ذلك في مئات المعارك، فقد كان لا يمضي شهر واحد إلا وفيه وقعتان أو ثلاث أو أكثر من ذلك، ومثال على الحروب المتواصلة فإن الرياض لم تفتح إلا بعد حروب متطاولة استمرت ثلاثين سنة كراً وفراً واقتحاماً وحصاراً مع أميرها المراوغ دهام بن دواس، وكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي عاصر الإمام محمد بن سعود بضعاً وثلاثين سنة، ومن بعده الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود الذي خلف أباه.

وقد عُمِّرَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب إحدى وتسعين سنة، أمضى بضعاً وستين سنة منها وراية الجهاد قائمة والشيخ يعقد المعاهدات، ويرسل البعوث ويبرم العقود، ويعلِّم الدعوة نهاراً والجهاد ليلاً، وفي عهد سعود بن عبدالعزيز الكبير اتسعت رقعة دولة الإسلام لتضم الحرمين الشريفين، وعامة أرض الجزيرة العربية، حتى كانت من اليمن جنوباً إلى معان في الأردن، ومن عُمان والربع الخالي إلى النجف شمالاً، وفي كل هذه البلاد المفتوحة كانت تُزال مظاهر الشرك من القبور المشرفة والأحجار والأوثان

المعبودة، وتعمر المساجد، ويدرس العلم والتوحيد ويحكم بأحكام الإسلام ويبطل أحكام الجاهلية، وسواليف البادية وما كانوا يحكمون به من العادات الجارية، وأحكام الجاهلية».

الفصل العاشر
قدرات الشيخ التربوية

لم أرَ أحداً فيما اطلعت عليه ممن كتب عن الشيخ ذكر هذا الجانب من حياة الشيخ محمد رحمه الله تعالى، ومن درس حياته بعناية رأى هذا الجانب واضحاً فيه غاية الوضوح، وتظهر لنا قدراته التربوية فيما يأتي:

أولاً: كان الشيخ يصارح من ينحرف به المسار، ويقع منه الخطأ، فقد ذكر الدكتور محمد سعد الشويعر أن أحد أساتذة الشيخ الذين كان يدرس عليهم وهو صغير يبدأ درسه بدعاء يستعين به بزيد بن الخطاب، ويطلب منه المدد، فكان التلميذ محمد يردد بصوت خفيف لا يسمعه غير الأستاذ: الله أقدر من زيد، ومع الزمن تنبه الشيخ وترك دعاءه زيداً.

وعندما كان يطلب العلم بمكة كان أحد مشايخه إذا قام من كرسيه يقول: يا كعبة الله. فطلب الشيخ برفق من الشيخ يوماً قبل

وصول الطلاب أن يقرأ عليه بعض القرآن، فكان مما قرأه على الشيخ «فليعبدوا هذا البيت» وكرر القراءة ثلاث مرات، والشيخ يرده إلى الصواب، فتنبه الشيخ، وقال له: أنت ذكي فلِمَ كررت الخطأ ثلاثاً، وهذا لا يصح، لأن العبادة لله لا للبيت، فقال له: يا شيخ معذرة، فقد تأثرت بك، فلما أخبره بما يقوله، قال له: هذا خطأ، وقد قلدت فيه غيري، من دون روية، وأستغفر الله من ذلك، وأبطل هذه العادة.

ثانياً: اختبر الشيخ محمد تلامذته الذين كان يدرسهم التوحيد في الدرعية، ليتبين له مدى تحقيقهم للتوحيد، فقال لطلبته يوماً بعد الفجر في أول الدرس: لقد سمعت الليلة ضجة في أحد أحياء المدينة وصياحاً، فماذا ترون حصل، فاهتموا لما قاله: وقالوا لعله لص أو سارق أو مجرم أو شخص يعتدي على أعراض الناس.

وفي اليوم التالي سألهم هل عرفتم الأمر؟ وماذا ترون جزاءه. فقالوا: لم نعرف، ولكن يجب أن يجازى بأقصى العقوبات الرادعة.

فقال الشيخ محمد مهوِّناً الأمر أما أنا فقد عرفت، ذلك أن امرأة نذرت أن تذبح ديكاً للجن إن عوفي ابنها من مرض ألمّ به، وقد عوفي، فتعاونت مع زوجها على ذبح الديك، فهرب منهم،

وصاروا يلاحقونه من سطوح المنازل، حتى أمسكوه، وذبحوه بدون تسمية للجن، كما أخبرها بذلك أحد المتعاطين السحر.
فهدأت ثائرة الطلاب، فلما رأى هذا منهم، قال: إنكم لم تعرفوا التوحيد الذي درستم، لما كانت المسألة جريمة يعاقب عليها الشرع بالحد الموضح نوعه في كتب الفقه أهمكم الأمر وتحمستم له، ولما أصبح الموضوع يتعلق بالعقيدة هدأتم، بينما الأول معصية والثاني شرك، والشرك يقول الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

وعقب على ذلك قائلاً: «سنعيد دراسة التوحيد من جديد»، ثم جاءته فكرة إعداد كتاب «التوحيد» وتقريره على طلابه من تلك الحادثة». [تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية للدكتور محمد سعد الشويعر].

ثالثاً: كان الشيخ يراعي في مؤلفاته مستوى الذين يؤلف لهم، وتمتاز هذه المؤلفات بالوضوح والاختصار، والاستشهاد بالأدلة من الكتاب والسنّة، ولمراعاة مقتضى الحال ألّف رسالة صغيرة للعوام، يعلِّمهم فيها دينهم، وكان أئمة المساجد يدرسون هذه الرسائل وغيرها من الرسائل الموجزة من رسائل الشيخ بعد المغرب، وبعد الفجر.

يقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في هذا: «استطاع الشيخ رحمه الله بما أوتي من العلم العميق، والأسلوب البليغ والصياغة الجامعة، أن يجمع حقائق الدين في كتب مختصرة جامعة، كان يُعلمها لعوام الناس، وأكثرهم من البوادي والقرى يحفظونها عن ظهر قلب، وبهذا استطاع الشيخ وتلاميذه أن يعلموا السواد الأعظم من أبناء الجزيرة مع أن كثيراً منهم كانوا من أهل القرى والبوادي.

وكان الشيخ في رسائله ومناظراته، وكذلك من يرسلهم لمناظرة المخالفين يحتجون بالكتاب والسنّة وبإجماع الصحابة».

ومن رسائله التي وضعها لأتباعه: الأصول الثلاثة، وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ ، وقد عرف كل واحد من هذه الأصول تعريفاً سهلاً موجزاً جامعاً في صفحات، وبيّن في الأصل الثاني مراتب هذا الدين، وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وألّف رسالة صغيرة الحجم كثيرة النفع في بابها، بيّن فيها شروط الصلاة التسع، وشرح كل شرط منها في سطر أو سطور، ثم بيّن أركان الصلاة الأربعة عشر، ودلّل على كل شرط من هذه

الشروط بإيجاز، والرسالة كلها في ورقات، يمكن لطالب العلم أن يدرسها ويستوعبها في جلسة واحدة.

ووضع أربع قواعد مهمة في رسالة لا تتعدى صفحات، القاعدة الأولى: أن الكفار الذين قاتلهم النبي مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة. والثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم. والرابعة: أن مشركي عصره أشد شركاً من مشركي الجاهلية، وقد شرح كل قاعدة بإيجاز، وهذه الرسالة على إيجازها لها أثر عظيم في تسديد التوحيد وإبطال الشرك.

وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رسالة في أصول الإسلام، بيّن فيها بسهولة ويسر أصول الإيمان وأورد عند كل أصل النصوص التي تبرزه وتوضحه.

ومن رسائله الصغيرة الجامعة المفيدة رسالة: «فضل الإسلام» أورد فيها النصوص الدالة على فضل الإسلام، والموجبة للدخول فيه، وفسر فيها الإسلام، وتحدث فيها عن البدعة والشرك وعقد في آخرها باباً لما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء، وآخر للتحذير من البدع.

ومن رسائله المفيدة الجامعة رسالة «كشف الشبهات في التوحيد» تحدث فيها عن التوحيد وما يضاده وهو الشرك، ورد على شبهات الذين اعترضوا على منهجه في العناية بالتوحيد.

ومن الرسائل الصغيرة المفيدة رسالته في «الرد على الرافضة» بيّن فيها مذهبهم وضلالهم، ورد عليهم فيما ذهبوا إليه.

وأهم كتاب كتبه، كتاب الفريد في بابه، وهو كتاب: «التوحيد» عرف فيه بالتوحيد، وبيّن فضله، وبيّن فيه ما يناقضه، وتكلم فيه على أبواب التوحيد، وعقد لكل واحد منها باباً، وقد أورد في كل باب ما يعضده من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

وللشيخ محمد وأولاده وأحفاده من بعده رسائل أخرى، كلها على هذا النهج الذي ذكرته، وقد حفظ لنا في سيرته رسائله إلى محبيه ومناوئيه في بلاده وخارجها، ورسائله التي سطرها إلى العوام، وبين فيها لهم الإسلام، وأبطل فيها ما رماه به خصومه، ودعاهم فيها إلى الله.

لقد كان الشيخ وهو العلم العلامة يأخذ من علمه بقدر ما يوصل لدعوته التي يدعو بها، ولم يكن همّه التبحر في مسائل العلم، وتأليف المؤلفات الكبار، ولذلك رأيناه يتجه إلى الكتب الكبار،

فيختصرها حتى يوفر الوقت على الدارسين، مثل اختصاره للإنصاف، والشرح الكبير في الفقه الحنبلي، واختصاره للسيرة النبوية لابن هشام، واختصاره لزاد المعاد، واختصاره لعدد كبير من المسائل العلمية التي دوّنها ابن تيمية.

الفصل الحادي عشر
قيام حركة علمية كبيرة في نجد

وجدت دعوة الشيخ الإسلامية الإصلاحية معارضة ومقاومة، شأنها شأن غيرها من الدعوات، واشتدت عليها المعارضة والعنف من أمراء نجد وعلمائها وأعيانها وأتباعهم من العامة، فتبودلت القصائد بين شعراء هؤلاء وشعراء هؤلاء، كما تبودلت الرسائل العلمية والمصنفات بين الطائفتين من علماء الدعوة وخصوهم.

ومن وراء ذلك كله الجيوش بين آل سعود المؤيدين للدعوة وأمراء بلدان نجد المعارضين المعاندين، تسند هؤلاء قوة، وتسند الآخرين قوة، فصار في نجد حركة كبيرة عظيمة، شغلت البلدان النجدية وما جاورها من بلاد العرب، هذا والدعوة في طورها الأول من حيث الظهور والانشراح والفتوح. [علماء نجد: ١/ ٣٤].

وكان علماء الدعوة من ذرية الشيخ وغيرهم يقومون بالرد على الخصوم، ويبينون ما وقعوا فيه من أخطاء، ويألفون المدونات العلمية الشارحة للتوحيد، ولمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وقد أقيمت المعاهد العلمية وكليات الشريعة في المملكة العربية السعودية، وانتشرت الدعوة، وقامت المراكز العلمية، والمكتبات الجامعة لمختلف العلوم.

الفصل الثاني عشر
قيام الدولة السعودية على الجزيرة العربية

استمرت الحروب بين أهل التوحيد من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومناوئيهم سنوات طويلة، وأخذت قرى نجد تسقط في أيديهم واحدة بعد الأخرى، حتى سقطت مدينة الرياض في أيديهم سنة (١١٨٧هـ) على يد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وزالت كثير من البدع والخرافات والشرك، ودانَ الناس بالدين الحق لله رب العالمين، وامتدت دولة التوحيد في حياة الشيخ حتى عمّت الجزيرة العربية كلها، وضمّت بعضاً من اليمن، ووصلت إلى حدود بلاد الشام، ودخلت فيها مكة والمدينة وجميع الحجاز.

وسقطت الدولة السعودية على يد إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ ولم يدم الحال طويلاً، فأقام الإمام تركي الدولة من جديد في عام ١٢٣٩هـ، وعندما احتدم الخلاف بين أبناء الإمام فيصل واختلف أولاده فيما بينهما على الحكم، وضاع الحكم من أيديهم مدة من الزمان قام الملك عبدالعزيز بن عبدالله آل سعود باستعادة الحكم عام ١٣١٩هـ، وبقي بأيديهم إلى اليوم، واستمر علماء آل الشيخ وغيرهم يقودون الدعوة في الجزيرة العربية.

المطلب الرابع
التعريف بدعوة الشيخ

الغصن الأول
تقديم

وجهت دعوة الشيخ بهجمة إعلامية شرسة تبناها بعض رؤساء القبائل، وساندهم بعض الذين ينسبون إلى العلم، ثم تولى ذلك السلطان في تركيا، وزعموا أن الشيخ جاء بدين جديد، ومذهب جديد، وقد تولى الشيخ وتلامذته من بعده رد هذا الهجوم الذي ملأ دخانه الآفاق، ومن طالع الرسائل الشخصية التي سطرها الشيخ بنفسه علم بالدور الكبير الذي ملأه بنفسه في

مواجهة الخصوم، فقد كتب رسائل إلى بعض الأمراء في مكة واليمن، وبعض رؤساء العشائر في بادية الشام، وكتب إلى بعض علماء العراق، وبعض علماء المغرب، وكتب إلى بعض علماء نجد، فكتب إلى علماء الرياض، وعلماء المجمعة، وعلماء ثرمدا، وغيرهم، وكتب ردوداً للذين ألفوا كتباً يطعنون في دينه وما هو عليه.

وفي كتاباته بيّن الأمر الذي أدى به إلى القيام بهذه الدعوة، وبيّن مذهبه ومعتقده، وأنه على منهج أهل السنّة والجماعة، وأنه يدعو إلى الكتاب والسنّة، وعرف بالتوحيد الذي يدعو إليه، وعرف بالشرك الذي عليه أهل نجد، وكتب إلى عموم المسلمين في جميع الأقطار يبين لهم، ويدعو للإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله، وكتب إلى أتباعه يثبتهم ويسددهم ويرشدهم.

وكتب كتباً كثيرة يؤصل فيها لهذه الدعوة، ويذكر فيها أصولها وقواعدها، ويستدل على ما يؤصله ويقعده بالنصوص من الكتاب والسنّة، وبكلام أهل العلم المقتدى بهم، وأورد كلام علماء الصحابة، وعلماء التابعين، وأقوال الأئمة الأربعة، وكلام العلماء من بعدهم الذين اقتدوا بهم، وفنّد أقوال الخصوم، وأبطل الشبهات التي أوردوها، وبيّن نواقض الإسلام، وتكلم بإسهاب على بعض المسائل الفروعية التي خالف الناس فيها الحق.

الفصل الثاني
مذهب الشيخ وعقيدته

بيّن الشيخ في كتبه ورسائله مذهبه الذي يذهب إليه، وعقيدته التي يعتقدها، ويدين بها، ففي رسالته الثانية والعشرين [ص ١٥٠ من كتابه الرسائل الشخصية] التي وجهها إلى عموم المسلمين، يقول لهم فيها: «أخبركم أني - ولله الحمد - عقيدتي وديني الذي أدين به، مذهب أهل السنّة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة، وأتباعهم إلى يوم القيامة».

وكتب أهل القصيم إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب يسألونه عن عقيدته، فكتب إليهم رسالة يقول فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه،

لأنه تعالى لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ندّ له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨١-١٨٢].

والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية.

وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج. وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ.

وأؤمن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢]. وتنشر الدواوين، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، فأومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم، يمر به الناس على قدر أعمالهم.

وأومن بشفاعة النبي ﷺ، وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا بعد الإذن والرضا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:١٥٥] وقال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾

[النجم:٢٦]، وهو لا يرضى إلا التوحيد ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته.

وأومن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته.

وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم، وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقر بكرامات الأولياء، وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون

من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء.

ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام.

وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام براً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس، ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه.

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى الله، واعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة.

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة».

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل. اهـ . [راجع المجلد الحادي عشر، ص٨ من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي جمعتها جامعة الإمام، وهذا المجلد يحوي الرسائل الشخصية للإمام محمد، وهذه العقيدة ضمتها الرسالة الأولى التي أرسلها لأهل القصيم].

الغصن الثالث

مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب

بين يدي سفر قيم حوى كل مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، جمعته وحققته ووثقته الأمانة العامة التي كانت تعد مؤتمراً باسم الشيخ محمد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهذا السفر الذي يحوي مؤلفات الشيخ يقع في اثني عشر مجلداً، والمؤلفات فيه مصنفة حسب الموضوعات.

وسأعرض سريعاً للمؤلفات التي دوّنها الشيخ وحواها السفر حسب ترتيبها فيه.

أولاً: المؤلفات في العقيدة والآداب الإسلامية

حوى المجلد الأول من هذا السفر القسم الأول من مؤلفات الشيخ، وهي في العقيدة والآداب الإسلامية، وهي تسع مؤلفات:

١ - كتاب التوحيد.

٢- كشف الشبهات.

٣- ثلاثة الأصول.

٤ - القواعد الأربع.

٥ - فضل الإسلام.

٦ - أصول الإيمان.

٧- كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد.

٨- مجموعة رسائل في التوحيد.

٩ - كتاب الكبائر.

وهذه المؤلفات أهم مؤلفات الشيخ، وهي التي اعتمدها للتدريس، ونشرها بين أتباعه، ودرست في المساجد وحلقات العلم، وحفظها العلماء بل العوام أيضاً، وهي رسائل صغيرة موجزة، لا تستغرق الزمن الطويل في الدراسة والحفظ، وهي تبين الدين، وتؤصله، ويصبح العالم بها عالماً بالدين الإسلامي

والشريعة الإسلامية، وسأعرض لكل واحد منها بكلمة موجزة بحول الله وقوته.

أولاً: كتاب التوحيد:

يقول شارحه الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حفيد الشيخ في كتاب «التوحيد»: كتاب فريد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق. [تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص١٠]. وقال شارحه الثاني الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «كتاب التوحيد الذي ألفه الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له ولمن أجاب دعوته إلى يوم يقوم الحساب، قد جاء بديعاً في معناه، من بيان التوحيد ببراهينه، وجَمْع جمل من أدلته لإيضاحه، وتبيينه، فصار علماً للموحدين، وحجّة على الملحدين». [فتح المجيد: ص٧]. والكتاب يقع في (١٤٤) صفحة من هذا المجلد، وقد عقد فيه الشيخ محمد ستاً وستين باباً، خص كل باب بمعنى من معاني التوحيد أو الشرك أو ما يتعلق بهما، وقد أورد في كل باب النصوص الدالة على المعنى المقصود، وأتبع تلك النصوص ما استخلصه منها من مسائل، ومن استوعب ما في الكتاب خلص من الشرك، واستقام على التوحيد، والله المستعان.

ثانياً: كتاب كشف الشبهات:

هذا الكتاب يشكل رسالة لطيفة تقع في (٢٧) صفحة، أورد فيها الشيخ الشبهات التي يحتج بها المخالفون في توحيد الألوهية بأسلوب سهل يفقهه من يحسن فقه العربية.

ثالثاً: كتاب ثلاثة الأصول:

هذا الكتاب يقع في إحدى عشرة صفحة فقط، وقد دعا في هذه الرسالة إلى تعلم أربع مسائل، وهي: ١- العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة. ٢- العمل به. ٣- الدعوة إليه. ٤- الصبر على الأذى فيه، ثم أورد الأدلة على ذلك، ثم دعا إلى تعلم ثلاثة أصول والعمل بها، وهي:

الأول: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، وعرف الإسلام، وبيّن مراتب الدين، الإسلام والإيمان والإحسان، وبيّن أركان كل مرتبة.

الثالث: معرفة نبينا محمد ﷺ.

وقد أورد الأدلة من الكتاب والسنّة الدالة على كل أصل من هذه الأصول الثلاثة.

الكتاب الرابع: القواعد الأربع:

وهذه الرسالة تقع في أربع صفحات فحسب، وذكر فيها أربع قواعد مهمة للموحدين الذين يريدون الخلاص من الشرك، وقد ذكر القواعد الأربع والأدلة الدالة على كل واحد منها.

والقاعدة الأولى: أن الكفار الذين قاتلهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بأن الله تعالى الخالق المدبر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.

والثانية: أنهم كانوا يقولون ما دعوناهم وتوجنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.

والثالثة: أن الذين دعاهم الرسول ﷺ كانوا متفرقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم عباد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار.

والرابعة: أن مشركي اليوم أغلظ شركاً من الأولين فالأولون يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، ومشركو اليوم يشركون في الشدة والرخاء.

الكتاب الخامس: فضل الإسلام:

يقع هذا الكتاب في إحدى وعشرين صفحة، وقد بيّن الشيخ في هذا الكتاب فضل الإسلام، ووجوب الالتزام بهذا الدين،

فسّر الإسلام، وعرّف به وبيّن أن من ابتغى ديناً غيره فلن يُقبل منه، وأن كتابه وهو القرآن هو الكتاب الذي لا يغني عنه غيره، وقرر أنه لا يجوز الخروج عن دعوى الإسلام، وبيّن أنه يجب على المسلم أن يدخل في الدين كله، وقرر أن البدعة من الكبائر.

الكتاب السادس: كتاب أصول الإيمان:

يقع هذا الكتاب في أربع وأربعين صفحة، وقد ساق أحاديث كثيرة كلها تتحدث عن الله رب السموات والأرض، وعقد باباً يحدث فيه عن الإيمان بالقدر، وعقد باباً للحديث عن الملائكة، وأورد النصوص القرآنية والحديثية المتحدثة عنهم، وعقد باباً أورد فيه النصوص التي توصي بكتاب الله، وعقد باباً آخر للنصوص المتحدثة عن حقوق النبي ﷺ، وأورد النصوص من الكتاب والسنّة المحرضة على لزوم السنّة وترك البدع، والنصوص المحرضة على طلب العلم وكيف طلبه.

الكتاب السابع: كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد:

وهذا الكتاب يقع في تسع وأربعين صفحة وهذه الرسالة في مسألة واحدة، وهي الحكم بكفر من ترك التوحيد، كتبها عندما يرتاب بعض من يدعي العلم من أهل العيينة، لما ارتد أهل

حريملاء، وقد ساق فيها النصوص من الكتاب والسنّة، ودلل على موضع الاستدلال بتلك الأدلة، كما أورد كلام العلماء، وممن أورد كلامهم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

الكتاب الثامن: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان:

وهذا الكتاب في ست وستين صفحة، ويحتوي على ثلاث عشرة رسالة.

الرسالة الأولى: مسائل الجاهلية:

تقع هذه الرسالة في تسع عشرة صفحة، أورد فيها الشيخ محمد ثمان وعشرين ومائة مسألة من المسائل التي كان عليها أهل الجاهلية، ألّفها تحذيراً للأمة أن تقع في مثل هذه العظائم، وأولها: أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته. والثانية: أن أهل الجاهلية متفرقون في دينهم. والثالثة: أن أهل الجاهلية يعدون مخالفة ولي الأمر فضيلة.

الرسالة الثانية: شرح ستة مواضع من السيرة:

وهذه الرسالة في تسع صفحات، تناول فيها ستة مواضع من السيرة النبوية، وفقه هذه المسائل له أثر كبير في فقه الدين، والابتعاد عن دين المشركين، وقد ذم الشيخ من لا يفقه هذه المسائل الستة.

الرسالة الثالثة: تفسير كلمة التوحيد:

وهذه الرسالة في سبع صفحات أجاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من سأله عن معنى: لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد. وقال في أول كلامه: «اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون».

الرسالة الرابعة: تلقين أصول العقيدة للعامة:

وهذه الرسالة في ثلاث صفحات صاغ الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها أصول العقيدة التي تعلم لعوام الناس لإصلاح عقيدتهم، وتخليصهم من الشرك، وقد عرفهم فيها بأنواع التوحيد، وذكر فيها الأدلة القرآنية باختصار، وذكر فيها أصول الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، وعرّف فيها بالرسول ﷺ بشيء من الاختصار.

الرسالة الخامسة: ثلاث مسائل:

تناول الشيخ في هذه الرسالة الواقعة في صفحتين ثلاث مسائل في غاية الأهمية:

الأولى: أن الله خلقنا وأرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

الثانية: أعظم ما جاء به الرسول أن لا يشرك مع الله في عبادته أحد.

الثالثة: عدم جواز موالاة من حاد الله ورسوله.

وقد ساق مع كل مسألة دليلاً واحداً يدل عليه من القرآن.

الرسالة السادسة: معنى الطاغوت:

وهذه الرسالة في ثلاث صفحات، بيّن فيها معنى الإيمان بالطاغوت، ومعنى الإيمان بالله، وبيّن أنواع الطواغيت الواردة في القرآن، وهي خمسة.

الرسالة السابعة: الأصل الجامع لعبادة الله وحده:

وهذه الرسالة كسابقتها تقع في ثلاث صفحات، بيّن فيها الأصل الجامع لعبادة الله، وهو طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم أطال النفس في بيان أنواع العبادة، وأورد دليلاً من القرآن لكل نوع، ثم بيّن أن أجلّ ما أمر الله به توحيده بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك به، وأورد الأدلة الدالة على ذلك.

الرسالة الثامنة: بعض فوائد سورة الفاتحة:

في ثلاث صفحات أورد الشيخ رحمه الله أهم الفوائد التي تضمنتها سورة الفاتحة، وهي أعظم سورة في كتاب الله، وقال في خاتمة كلامه: «هذه السور تضمنت الألوهية والربوبية، ونفي النقائص عن الله عز وجل، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها».

الرسالة التاسعة: نواقض الإسلام:

بيّن الشيخ في ثلاث صفحات أن نواقض الإسلام عشرة: ١- الشرك في عبادة الله. ٢- وجعل الوسائط بينه وبين الله. ٣- عدم تكفير المشركين. ٤- اعتقاد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هدية. ٥- بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ. ٦- الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ. ٧- السحر. ٨- معاونة المشركين على المسلمين. ٩- اعتقاد بعض الناس أنه يمكنه الخروج على الشريعة. ١٠- الإعراض عن دين الله.

الرسالة العاشرة: مسائل مستنبطة من قول الله تعالى:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

استنبط الشيخ محمد رحمه الله في صفحتين عشر مسائل من هذه الآية الكريمة، كلها تدور حول توحيد الله والشرك به.

الرسالة الحادية عشرة: ثماني حالات استنبطها الشيخ:

من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ الآية [يونس:١٠٤]

استنبط الشيخ في ثلاث صفحات في هذه الرسالة ثماني حالات تدور كلها حول توحيد عبادة الله تبارك وتعالى.

الرسالة الثانية عشرة: ستة أصول عظيمة مفيدة:

بيّن الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب في هذه الرسالة الواقعة في أربع صفحات ستة أصول عظيمة بيّنها الله بياناً واضحاً، وهي الإخلاص في دين الله، والاجتماع على هذا الدين، وترك التفرق فيه، والسمع والطاعة لمن تأمر علينا، وبيان حقيقة العلماء، وكشف حالة من تشبَّه بهم، وليس منهم، وبيان الله لأوليائه، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من المنافقين، ورد الشبه التي وضعها الشيطان في ترك الكتاب والسنة.

الرسالة الثالثة عشرة: رسالة في توحيد العبادة:

وقد بيّن شيخ الإسلام محمد رحمه الله تعالى في صفحتين في هذه الرسالة معنى التوحيد الذي فرضه الله على عباده قبل فرض الصلاة والصوم.

الكتاب التاسع: كتاب الكبائر:

هذا الكتاب يقع في أربع وستين صفحة، عرف فيه الشيخ الكبائر، وأورد فيه جملة كبيرة من الكبائر، كالرياء والسمعة، وسوء الظن بالله، وإرادة العلو والفساد، ومودة أعداء الله، وقسوة القلب، والبذاء والفحش، والكذب، وإخلاف الوعد، وغير ذلك.

ثانياً: المؤلفات في الفقه الإسلامي

الكتاب العاشر: مختصر الإنصاف والشرح الكبير:

هذا الكتاب يقع في ثلاث وثمانين وسبعمائة صفحة (٧٨٣) وهو يشمل جميع المجلد الأول من القسم الثاني المعنون له بالفقه، وقد اختصر فيه كتابين كبيرين من كتب الحنابلة.

الأول: كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ومؤلفه العلاّمة الفقيه علاء الدين علي بن سليمان المرداوي (٨١٧-٨٨٥هـ).

والثاني: الشرح الكبير، ومؤلفه شمس الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي عمر بن قدامة المقدسي (٥٩٧-٦٨٢هـ).

وقد بدأ الشيخ كل باب من أبواب الكتاب بما اختاره من الشرح الكبير، وختم كل باب بما استدركه من الإنصاف.

الكتاب الحادي عشر: أربع قواعد تدور الأحكام عليها:

ويليها نبذة في اتباع النصوص مع احترام العلماء

وهذا الكتاب أول المجلد الثاني الحاوي لما ألّفه الشيخ في علم الفقه، وهذا الكتاب أعنى القواعد الأربع يقع في ثلاث عشرة صفحة من هذا المجلد، ذكر أربع قواعد مهمة تدور عليها الأحكام، وهي: ١- تحريم القول على الله بلا علم. ٢- كل ما سكت عنه الشرع فهو عفو لا يجوز تحريمه، ولا إيجابه. ٣- ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه طريق أهل الزيغ. ٤- الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات.

الكتاب الثاني عشر: مبحث الاجتهاد والخلاف:

يقع هذا الكتاب في تسع وثلاثين صفحة، وهو في مبحث الاجتهاد والخلاف، وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن السدحان، والشيخ عبدالله الجبرين، وهما اللذان صححا هذا الكتاب، أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قام باختصار هذه الرسالة من كتاب «أعلام الموقعين» لابن القيم رحمه الله تعالى، وقد قابلا هذه الرسالة على الأصل الذي اختصرت منه، أي من «أعلام الموقعين».

الكتاب الثالث عشر: كتاب الطهارة:

ألّف الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هذا الكتاب في ثلاث وأربعين صفحة، تناول فيه الأحكام التي يتناولها الفقهاء في هذا الباب، كأحكام المياه والآنية والاستنجاء والاستجمار، والوضوء وفرائضه وسننه، والمسح على الخفين، والغسل، والتيمم، والحيض والنفاس والاستحاضة.

الكتاب الرابع عشر: شروط الصلاة وأركانها وواجباتها:

هذا الكتاب صغير الحجم يقع في اثنتي عشرة صفحة، تكلم فيه الشيخ عن شروط الصلاة، وفروض الوضوء ونواقضه، وأركان الصلاة، وواجباتها.

الكتاب الخامس عشر: كتاب آداب المشي إلى الصلاة:

يقع هذا الكتاب في واحد وأربعين صفحة تناول فيه آداب المشي إلى الصلاة، وصفة الصلاة، وسنن الصلاة في الأقوال والأفعال، وصلاة التطوع، وصلاة الجماعة، وصلاة أهل الأعذار، وصلاة الجمعة والعيدين، والكسوف، والاستسقاء، والجنائز.

الكتاب السادس عشر: كتاب الزكاة:

تناول الشيخ محمد رحمه الله تعالى في سبع صفحات زكاة بهيمة الأنعام، والخارج من الأرض، والنقدين، وعروض التجارة،

وزكاة الفطر، وختمه بكتاب إخراج الزكاة، وتحديد أهلها الذين يستحقون الزكاة.

الكتاب السابع عشر: كتاب الصيام:

تكلم الشيخ رحمه الله تعالى في ثلاث صفحات على بعض الأحكام التي تتعلق بالصيام كفرض صوم رمضان، ورؤية الهلال، وصوم المسافر، ومفسدات الصوم، وغير ذلك.

الكتاب الثامن عشر: أحكام الصلاة:

هذا الكتاب رسالة في صفحتين تناول الشيخ فيها: شروط الصلاة، وأركانها، ومبطلاتها، وواجباتها، وفرائض الوضوء، ونواقضه.

الكتاب التاسع عشر: أحكام تمني الموت:

هذا الكتاب آخر الكتب الفقهية التي دونها الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب في علم الفقه، وهو يقع في خمس وسبعين صفحة من آخر المجلد الثاني الفقهي الذي ضم مؤلفات الشيخ رحمه الله، وقد أورد في أوله النصوص الناهية عن تمني الموت، وتكلم عن قضايا كثيرة متعلقة بالموت.

الكتاب المتمم للعشرين: أحاديث الأحكام

هذا كتاب كبير ألفه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في أحاديث الأحكام، وهو يقع في أربعة مجلدات من الكتاب الجامع لمؤلفاته، وعدد صفحاته ست وتسعون وتسعمائة وألف صفحة (١٩٩٦) والكتاب مرتب على ترتيب الأبواب الفقهية، كترتيب أكثر الكتب التي جمعت أحاديث الأحكام، واشتمل الكتاب على الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وكثير من فتاوى التابعين وأقوال أئمة الاجتهاد، لا سيما أقوال الإمام أحمد، بالإضافة إلى نقل الإجماع في كثير من المواطن، وقد استمده المؤلف من الكتب الستة، وهي: البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي والنسائي، ومن موطأ مالك، والسنن الكبرى للبيهقي، وسنن الدارقطني، ومستدرك الحاكم، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وسنن سعيد بن منصور، وسنن الأثرم، ومراسيل أبي داود، وغيرها من كتب السنّة.

وقد بلغت الأحاديث المدونة في هذا الكتاب ستمائة وأربعة آلاف (٤٦٠٠) حديثاً، كما نبّه على ذلك محقق الكتاب الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر.

الكتاب الحادي والعشرون: أحاديث الفتن والحوادث:

يقع هذا الكتاب في ست وستين ومئتي (٢٦٦) صفحة، وقد جمع فيه الشيخ محمد رحمه الله تعالى أحاديث الفتن والحوادث التي أخبر النبي ﷺ أنها ستكون بعده، وقد تضمنت الفتن، وأشراط الساعة، وخروج الدجال، وما جاء في المهدي، ونزول عيسى عليه السلام وغير ذلك من أمور الغيب الآتية.

وقد اعتمد فيما جمعه على الصحيحين والسنن والمسانيد التي اعتمد عليها أهل العلم من قبله، والنسخة المخطوطة منقولة عن نسخة بخط الشيخ، وعدد أحاديث هذا الكتاب مائتا حديث (٢٠٠).

الكتاب الثاني والعشرون: مختصر سيرة الرسول ﷺ:

يقع هذا الكتاب في ثلاث وثلاثين ومائتي صفحة (٢٣٣)، وقد اختصره الشيخ محمد رحمه الله من كتاب السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام المعافري، وقد قدم له بمقدمة نافعة بيّن فيها واقع الجاهلية اعتقاداً وسلوكاً، وبيّن الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الكتاب حقيقة التوحيد الذي بعث به محمداً ﷺ، وضمن الشيخ الكتاب بعض الاستنباطات المفيدة، وذكر في خاتمة الأحداث التي وقعت حتى سنة ستين من الهجرة النبوية.

الكتاب الثالث والعشرون: الفتاوى والمسائل:

يقع هذا الكتاب في ست وعشرين ومائة صفحة، وهذا الكتاب لم يألفه الشيخ مجموعاً على ما هو عليه، وإنما جمع فتاويه ومسائله الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم، والشيخ محمد بن عبدالرزاق الدويش بتكليف من جامعة الإمام محمد بن سعود، وضم إلى سفر مؤلفات الشيخ محمد، وقد جمع الشيخان هذه الفتاوى والمسائل من تاريخ نجد لابن غنام، وكتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع ابن قاسم، وكتاب الرسائل والمسائل النجدية.

رابعاً: المؤلفات في التفسير وعلوم القرآن

الكتاب الرابع والعشرون: كتاب فضائل القرآن:

هذا الكتاب يقع في أربع وثلاثين صفحة، عقد فيه ثماني عشرة باباً مختصراً، كباب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه، وباب ما جاء في تقديم أهل القرآن وإكرامهم، وباب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه، وباب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين، وباب قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة:٧٨]، وغير ذلك من الأبواب المختصرة النافعة المفيدة.

يقع هذا الكتاب في اثنتين وثمانين وثلاثمائة صفحة (٣٨٢) وقد جمع فيه جامعه الدكتور محمد بلتاجي مخطوطتين الأولى بعنوان: «استنباط القرآن» والثانية: مخطوطة وجدت عند الشيخ عبدالرحمن بن سحمان رئيس محاكم الدلم، وقد دوّن فيها التفسير بخط علي بن سليمان، وتم تدوينها في سنة (١٢٧٦هـ).

وقد تناول فيها تفسير عدد كبير من الآيات ابتداءً من سورة الفاتحة، وانتهاءً بسورة الناس.

وطريقته أن يأتي بالآية، ثم يورد المسائل التي تستفاد منها، فقد استخلص من الآية المتحدثة عن السحر إحدى وخمسين مسألة.

واستخلص من الآيتين في سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩-١١٠] ست عشرة مسألة.

ومن قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ...﴾ الآية [آل عمران: ١٠٠] ستاً وثلاثين مسألة.

الكتاب السادس والعشرون: مختصر زاد المعاد

يقع هذا الكتاب في تسع عشرة وثلاثمائة صفحة (٣١٩) وقد اختصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب هذا الكتاب من «كتاب زاد المعاد» لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، وهو كتاب في فقه السيرة النبوية، وقد تجاوز الشيخ في اختصاره بعض ما أسهب فيه العلاّمة ابن القيم وأطال في ذكر مسائل الخلاف، واقتطف منه الزبدة والخلاصة فجاء كتابه في مجلد لطيف، وافٍ بالغرض.

السابع والعشرون: الرسائل الشخصية للشيخ محمد:

يضم هذا الكتاب الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، ويقع هذا الكتاب في عشرين وثلاثمائة صفحة (٣٢٠) وعدد هذه الرسائل واحد وخمسون رسالة، وقد وجهها إلى أشخاص معينين أو إلى جماعة المسلمين، يشرح فيها حقيقة ما هو عليه، ويبين منهجه في الدعوة، ويرد على ما يوجه إليه من تهم من قِبَل خصومه، واعتمد جامعاها وهما الشيخ صالح بن فوزان، والشيخ محمد بن صالح العليقي على أصل الرسائل

الموجود ضمن تاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي، ووجدا بعض الرسائل في كتاب الدرر السنية، وفي مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، لم تكن موجودة في أصل ابن غنام، فأضافاها إليه.

الكتاب الثامن والعشرون: المسائل التي لخصها الشيخ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وجملة هذه المسائل خمس وثلاثون ومائة مسألة (١٣٥)، وهذا الكتاب يقع في تسعة وتسعين ومائة صفحة (١٩٩)، وهذا الكتاب شامل لمسائل عديدة في التوحيد بجميع أنواعه، وفي الفقه، وأصوله، والتفسير وعلومه.

ويدل هذا الكتاب على عمق صلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد أجهد الشيخ نفسه في الاطلاع على كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، واستفاد منها كثيراً.

الكتاب التاسع والعشرون: مختصر سورة الأنفال:

يقع هذا الكتاب في إحدى وعشرين صفحة، وقد عثر عليه في مكتبة الأوقاف في بغداد، وقد فسر الشيخ رحمه الله سورة الأنفال تفسيراً مختصراً.

الكتاب الثلاثون: بعض فوائد صالح الحطيبية:

ذكر الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب تسعاً وثلاثين ومائة فائدة في ثلاث عشرة صفحة، وهذه الفوائد تدل على المقصود بأسهل عبارة، ومن هذه الفوائد:

١ - تسمية الله تعالى «لا إله إلا الله» كلمة التقوى، وجعلها أعداء الله كلمة الفجور.

٢- تفسير شيء من شهادة أن محمداً رسول الله، لاستدلال أبي بكر على عمر لما أشكل عليه مسألة من أشكل المسائل.

٣- عظمة أعمال القلوب عند الله، لأن أهل الشجرة لم يبلغوا ذلك إلا بما علم الله في قلوبهم.

الكتاب الحادي والثلاثون: رسالة في الرد على الرافضة:

وقد عثر على هذه الرسالة في مكتبة الأوقاف ببغداد، وقد تمت طباعتها في سبع وأربعين صفحة، وقد ذكر الشيخ مذهبهم، ورد عليهم، وبيّن ما في أقوالهم من تناقض واستدلال بالأحاديث الباطلة والموضوعة.

الكتاب الثاني والثلاثون: الخطب المنبرية:

يقع هذا الكتاب في إحدى وستين صفحة وعدد خطبه ثمانٍ وثلاثون خطبة، وقد ضم جملة من الخطب المنسوبة إلى الشيخ محمد

ابن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، وقد أجهد محققا الكتاب وهما الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم، والشيخ محمد بن عبدالرزاق الدويش نفسيهما في تحقيق ما هو منسوب للشيخ مما هو منسوب لأحفاده وتلاميذه، فما ثبت لديهما أنه للشيخ أدخلاه في هذا الكتاب، وإلا تركاه وأهملاه.

الفصل الرابع
الشيخ على مذهب أحمد وتلميذ ابن تيمية عبر كتبه

قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: «نشأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب متعلماً ومنتمياً إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد كان لهذا الانتماء والعلم بالمذهب أثره في دعوة الشيخ حيث إن الإمام أحمد هو الذي تصدى للبدعة الكبرى في وقته، بدعة القول بخلق القرآن، ولجميع أنواع البدع التي ظهرت في الإسلام إلى وقته، فلم يترك بدعة إلا وكانت له أقوال في ردّها، حتى ما هو من صغار البدع كتفضيل عليّ على عثمان رضي الله عنهما جميعاً وبدعة السماع وغير ذلك.

وشيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن مجرد عالم في الفقه أو التوحيد بل كان عالم أمة، لم يترك بدعة نشأت في الإسلام منذ

نشأت البدع إلا وعلمها وعرف مخرجها ورجالها، وأقوال أصحابها على التفصيل، ثم رد عليها نقلاً وعقلاً بالحجج التي لا يقوم لها باطل، وبالبرهان الذي لا يقاوم، وقد أوتي الشيخ من قوة الحجة، وسبق الاستدلال ونصاعة البيان، والقدرة على دحض الباطل ما يذهل العقول، ويحير الألباب، فلم يترك للمتفلسفة والمتأولة شبهة إلا وأبطلها، ولا دليلاً إلا ونقضه، ولا زخرفاً من القول إلا وبيّن عواره وزيفه، وهذا مع اختلاف درجات أهل هذه البدعة من المتفلسفة والجهمية وما تفرع عنهم من الفرق الكلامية، وهذا عجب من العجب، وكذلك فعل مع الخوارج والقدرية والرافضة، ومن نسب إلى التصوف والزهد، وكذلك مع المتفقهة والمقلدة، وأولياء الشيطان ممن جعلوا أنفسهم أولياء الرحمن، وكل الذين جاؤوا بعد شيخ الإسلام ابن تيمية محتاجون إلى كل ذلك من رجل استوعب كل شبهة وبدعة في الدين واستوعب طرق الرد عليها وإبطالها.

هذا إضافة إلى علم شامل بأحكام الدين كلها ومصادره قرآناً وسنةً وإجماعاً وقياساً، واجتهاداً مطلقاً في كل فروع الدين، مما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية أمة في رجل، فكان ارتباط دعوة ابن عبدالوهاب بالإمام أحمد وابن تيمية كارتباط مصب النهر بمنبعه.

وقد أصبحت كتب مذهب الحنابلة وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وفتاويه هي المستند الشرعي لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأصبحت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب امتداداً طبيعياً لمذهب الحنابلة وشيخ الإسلام ابن تيمية.

وأصبحت كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وردوده على أهل البدع هي الردود على كل خصم، والدليل في كل حكم، والحسم في كل نازلة، وهذا أعطى لدعوة الشيخ الذيوع والانتشار والحجة والقوة والبرهان.

ومن عجب أيضاً أن أهم أسباب انتشار كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في العالم هي دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب الذي أيدها السلطان والمال بعد ذلك، وإلا فقد كانت كتب شيخ الإسلام قبل ذلك مهجورة في العالم الإسلامي كله، فجاء ابن عبدالوهاب فاستخرجها وحارب بها الخصوم فانتصر عليهم، وعاد السيف لامعاً قوياً ناصعاً كهيئته يوم صقل».

الفصل الخامس

المؤاخذات التي أخذها خصومه عليه

أخذ خصوم الشيخ عليه كثيراً من المؤاخذات، شنعوا بها عليه، وخطبوا وكتبوا بها إلى المشارق والمغارب، وبعض هذه المؤاخذات كذب وافتراء، والشيخ وأتباعه منها برءآء، ومن ذلك دعواهم أنه يكفر المسلمين عامة، وقد أنكر الشيخ هذه الدعوى وردّ عليها في رسائله، وقد بيّن الشيخ رحمه الله في رسائله أنه إنما يكفر من أنكر الحق واستكبر عن متابعته، (ففي ص ٥٨) من رسائله قال: «ما ذُكر أني أكفر بالعموم فهو من بهتان الأعداء» وصرح في رسالته إلى حمد التويجري (ص٦٠) «أن من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان كان، وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في ألوهيته، بعدما تبين له الحجة على بطلان الشرك».

وقد خالف الشيخ الذين ادعوا أن «من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ولو أنكروا البعث، وأنكروا الشرائع كلها» [راجع ص٤١، من مجموع رسائله].

وقد بين في غير موضع من رسائله أن مسيلمة الكذاب كان يقول: لا إله إلا الله، وكذلك المرتدون الذين حاربهم أبو بكر

والصحابة، وكثير من العوام يقولون: لا إله إلا الله، وينكرون البعث والنشور.

وقد شنّع عليه مخالفوه أنه اخترع مذهباً جديداً، وهو ساعٍ إلى إبطال كتب المذاهب وتقرير مذهبه، وقد بيّن رحمه الله أنه من المتبعين لا المبتدعين، وأنه على مذهب الإمام أحمد [راجع ص٤٠ من رسائله] وقد سبق أنه اختصر كتابين عظيمين من كتب الحنابلة، وهما الإنصاف والشرح الكبير.

وقد رماه خصومه بأنه يكره الصالحين ويبغضهم، وهذا غير صحيح، بل يحب الصالحين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ولكنه يرفض أن يصرف لهم الحق الذي لا يكون إلا لله، كدعائهم، والاستغاثة بهم، والذبح لهم، وقد هدم القباب والقبور المشرفة، كما أمر الرسول ﷺ بعض أصحابه أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا هدمه.

وأخذوا عليه أنه يبغض الصلاة على الرسول ﷺ، وأنه يريد هدم القبة المبنية على الرسول ﷺ، ويريد نزع ميزاب الكعبة، واستبداله بميزاب خشبي، وأنه يكفر من حلف بغير الله.

وقد ذكر الشيخ اثنتا عشرة مسألة رماه بها خصومه، وقد ذكرها الشيخ [في مجموع رسائله، ص٦٤] ثم قال: «فهذه اثنتا عشرة مسألة

جوابي فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم» وذكر أن هؤلاء الذين بهتوه بهذه المسائل مثلهم كالذين بهتوا الرسول ﷺ بقولهم: إنه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين، تشابهت قلوبهم، وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار، فأنزل الله في ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]. وقد ذكر الشيخ محمد بعض هذه المفتريات [في رسائله، ص١٢].

وقد أخذ عليه خصومه تكفيره لمن لا يعرف معنى لا إله إلا الله، وتكفير من استغاث بغير الله، ونذر لغير الله، وذبح لغير الله، وقد أكثر الشيخ من ذكر معنى لا إله إلا الله، وأبان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأن توحيد الربوبية لا ينجي من النار، حتى يتبعه القائل به بتوحيد الألوهية، وأن مشركي العرب الذين قاتلهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية [راجع مجموع رسائل الشيخ، ص٦٤].

المطلب الخامس

نشر الدعوة في العالم الإسلامي الرحب

الغصن الأول

انتشار الدعوة في الآفاق

نشر الصحابة الإسلام من بعد النبي ﷺ في ربوع العالم، حتى عمّ المشارق والمغارب، ووصل الإسلام إلى اليمن وفارس. وبلاد الشام والعراق ومصر، ووصل إلى الأندلس في أوروبا، وحلّ في تركيا، وحمله الأتراك إلى دول البلقان، ووصلوا إلى النمسا، ولا شك أن إصلاح أحوال المسلمين في بعض بلاد المسلمين سيسري في بقية بلادهم، خاصة في هذه الأيام التي يستطيع المسلم أن يوصل صوته إلى كل بيت في هذا العالم الرحب الواسع، فالتلفاز والإذاعة تسري عبر موجات الأثير إلى كل أصقاع الأرض، والكتب والمجلات والصحف تُنقل من بلد إلى بلد، ومن موقع إلى موقع بسرعة خارقة.

وقد قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته، وشاع ما قام به وذاع، وطبق الآفاق، وتأثر بها أقوام كثيرون، من أهل العلم

والفضل، يقول الزركلي: «وكانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقد جهر بها (سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، فظهر الآلوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين الأفغاني بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمي بالشام، وخير الدين التونسي بتونس، وصديق حسن خان في بهوبال، وأمير علي في كلكتة». [الأعلام:٦/ ٢٥٧].

وقال الزركلي أيضاً فيه: «محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، كان ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص، ونبذ البدع، وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام». [الأعلام:٦/ ٢٥٧].

وقال عمر رضا كحالة فيه: «قام محمد بن عبدالوهاب بالسلفية، والعمل بالكتاب والسنّة، وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره، ثم خذله، فقصد الدرعية بنجد، فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقَبِلَ دعوته، وآزره، كما آزره من بعده ابنه عبدالعزيز، ثم سعود بن عبدالعزيز، وقاتلوا من خالفه، وانتشرت دعوته في كثير من بلاد العرب، وعرف من والاه

وشدّ أزره في قلب الجزيرة بأهل الوحيد، وسماهم خصومهم بالوهابية نسبةً إليه، وتوفي بالدرعية». [معجم المؤلفين: ٣/ ٤٧٢].

وانتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في خارج نجد من أجل استيلاء الدولة السعودية على مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ وأصبح حجاج البلاد الإسلامية يفدون على مكة المكرمة، ويشاهدون علماء هذه الدعوة الحقّة، ويستمعون خطبهم ومواعظهم وإرشاداتهم السديدة، وتوجيهاتهم القيمة، كما شاهدوا سيرة الدولة السعودية إذ ذاك، وما هي عليه من الاعتصام بالكتاب والسنّة، ونشر الأمن والعدل والإنصاف.

فتأثر بعض الحجاج بدعوة الشيخ، فأخذ ينشر في بلده التوحيد، ويحارب الخرافات والشائعات، كما قام بصد القبوريين، والداعين إلى تقديس القبور، وبناء القباب عليها، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى السودان في إفريقيا وسومطرة والهند، كما انتشرت في العراق والشام ومصر والجزائر وجاوة وعُمان وفارس. وإليك أهم الحركات التي قامت على نمط دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

الفصل الثاني

الدعوات التي اقتفت دعوة الشيخ

أولاً: الداعية الشيخ عثمان بن فودي في السودان:

كان الشيخ عثمان بن فودي أحد أفراد قبيلة الفولاني، وهي قبيلة من قبائل الرعاة في السودان، وكان هذا الشيخ بعد التقائه بعلماء الدعوة في موسم الحج، وبعد اعتناقه المبادئ التي دعا إليها الشيخ، عاد إلى بلاده وأخذ يحارب البدع والخرافات بين عشيرته وقومه، ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات التي كانت مختلطة بالعقيدة الإسلامية في نفوس السودانيين، وأخذ ينشر تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، واستطاع أن يجمع حوله قبيلته في وحدة متماسكة، مرتبطة برباط الدين المتين، بعد أن كانت منقسمة إلى عدة وحدات ضعيفة متخاذلة.

وابتدأ حروبه بعد ذلك سنة ١٨٠٢م ضد قبيلة الهوسا الوثنية، وقضى على مملكة «غبر» التي كانت قائمة على مجرى نهر النيجر.

وما مضت سنتان حتى أقام عثمان مملكة «سوكوتو» في السودان على أساس من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب،

وامتدت هذه الدولة على الأقطار الواقعة بين «تمبكتو» وبحيرة «تشاد» واستمرّ وجود هذه الدولة نحو قرن، حتى قضى عليها الاستعمار الأوروبي.

ثانياً: دولة السيد أحمد في ناحية البنجاب في الهند:

كان السيد أحمد أحد الأمراء الهنود، ذهب إلى الحجاز بعد أن اعتنق الإسلام عام ١٨١٦م قاصداً أداء فريضة الحج، وخالط العلماء الذين كانوا على طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتفقه عليهم، ودرس الشريعة، وعاد إلى بلاده في عام ١٨٢٠م فأخذ يدعو أهله وأهل منطقته إلى الإسلام الصحيح، ودعاهم إلى ترك ما هم عليه من البدع والعقائد الفاسدة، وأقام هو وأتباعه دولة بجهة البنجاب، تحت حكمه. وقد بقيت هذه الدولة إلى أن قضى عليها الاستعمار في العقد الرابع من القرن التاسع عشر، ولا يزال كثير من السكان في تلك المناطق على الدين الحق الذي نقله إليهم السيد أحمد خان.

ثالثاً: دولة الإسلام في سومطرة:

وكان بعض الحجاج الذين فقهوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد بدأ الدعوة إلى الإسلام الصحيح في عام ١٨٠٣م وقد جمع ذلك الداعية حوله قوة كبيرة، وحارب أهل الشرك

والوثنية، ولكن الاستعمار الهولندي قضى على هذه الدولة في سنة ١٨٢١م واستمرت الحروب بين أصحاب الدعوة الصحيحة والهولنديين ستة عشر عاماً.

رابعاً: الحركة السنوسية

تأثر محمد علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، أيام كان في مكة يطلب العلم، فعاشر علماء الدعوة، وتتلمذ عليهم، وتأثر بفقههم وعلمهم، وقد ابتدأ السنوسي دعوته في الجزائر في أواسط القرن التاسع عشر، ثم غزا بعد ذلك طرابلس، وانتشرت دعوته في شمال إفريقيا، ثم مدت رواقها نحو الجنوب، فتمكنت حركة السنوسي في السودان، وناهضت الاستعمار في كل مكان.

خامساً: انتشار الدعوة بحضرموت وعدن وجاوة:

ألّف الشيخ محمد رشيد رضا جمعية الإرشاد الداعية إلى الكتاب والسنّة، ونبذ الخرافات والبدع، ودعا القائمون على العمل هناك إلى مثل ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد تأثر الناس في حضرموت وعدن وجاوة بهذه الدعوة كثيراً. [محمد بن عبدالوهاب، لأحمد بن حجر، ص١٠٣-١٠٧].

يذكر الدكتور محمد سعد الشويعر نقلاً عن أحمد الناصري مؤرخ المغرب الأقصى في الجزء الثامن من كتابه «تاريخ الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى» في حوادث سنة ١٢٢٦هـ أنه حج في ذلك العام جماعة من المغاربة صحبة المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان، سلطان المغرب، الذي خلف والده السلطان سيدي محمد بن عبدالله العلوي، فقال ابنه المولى إبراهيم ومن معه: ما رأينا من ابن سعود ما يخالف الشريعة، وإنما شاهدنا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة، والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر، وتنقية الحرمين من الآثام.

وذكر أن الدكتور سعد أن الناصري في تاريخه هذا غطى حيزاً كبيراً من أخبار هذه الدعوة بأكثر من عشر صفحات.

يقول الناصري عن السلطان سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي الذي بويع في فاس في حدود ١٢٢٦هـ، وقد كان معاصراً للإمام محمد بن سعود ووالده سعود بن عبدالعزيز الذي دخل مكة المكرمة في المرة الأولى حاجّاً عام ١٢١٤هـ الموافق لعام ١٧٩٩م بأنه أراد أن يتحقق من سعود وما يدعو إليه، فأرسل ابنه المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب وأعيانه، ومعه جواب من

والده، فوصلوا الحجاز، وقضوا المناسك، وزاروا الروضة الشريفة، كل هذا على الأمن والأمان، والبر والإحسان، ثم أردف الناصري قائلاً: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان يعني الإمام سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة.

ويذكرون أن الإمام سعود لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لآل البيت الكريم، وجلس معه على الكرسي كجلوس أحد أصحابه وحاشيته، وكان الذي تولى الكلام معه الفقيه القاضي أبو إسحاق الزرعي، فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي فقال له: معاذ الله، إنما نقول كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب.

وسأله عما أشيع عنهم من القول بعدم حياة الرسول وحياة إخوانه الأنبياء في قبورهم، فأجابه بأن حياتهم فوق حياة الشهداء.

وذكر الناصري أن المولى سليمان حدد خطبة تحث على التوحيد ومحاربة البدع، وأمر بتوزيعها على مساجد الجمعة، كما أمر بإغلاق زوايا الصوفية.

ونقل الدكتور محمد سعد الشويعر عن الدكتور عباس الجراري وهو من علماء المغرب أن التيار السلفي ظهر في المغرب في بداية القرن الرابع عشر الهجري.

وذكر أن أربعة من سلاطين المغرب الأقصى اهتموا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتبنوا نشرها في بلادهم، وهم:

١- المولى السلطان سيدي محمد بن عبدالله العلوي الذي كان معاصراً للإمام عبدالعزيز بن محمد، وتبلغ رسالة ابن سعود.

٢- المولى السلطان سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي أوفد العلماء مع ابنه المولى إبراهيم، وتناقش مع الإمام سعود بن عبدالعزيز وعلماؤه مع علماء الدعوة.

٣- المولى السلطان إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي الذي تولى زمام الحكم بعد أبيه.

٤- المولى السلطان الحسن الأول في عام ١٣٠٠هـ ووقته فترة بين الدولة السعودية الثانية والدور الثالث لهذه الدولة، الذي قام به الملك عبدالعزيز عام ١٣١٩هـ.

وذكر الدكتور سعد أن الدكتور تقي الدين الهلالي اهتم بهذه الدعوة، وهو حسني من العائلة المغربية الحاكمة، وقد كان تيجانياً،

ثم لما عرف حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حرص على نشرها في كل مكان ذهب إليه، ومثله الشيخ عبدالرحمن الإفريقي الذي كان سنغالياً تيجانياً فتركها، وألّف بعض المؤلفات في ذم ما هم عليه.

ونقل الدكتور سعد أن الشيخ تقي الدين الهلالي كان يقول:

نسبوا إلى الوهاب خير عباده   فيا حبذا نسبي إلى الوهابي

دوحة أبناء الشيخ وذريته من بعده:

نشأت من ذرية الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب دوحة غنّاء وارفة الظلال، وقد تقبلوا دعوته، وحملوها، ودافعوا عنها، وقد ترجم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» للذين نبغوا في علمهم من أبناء الشيخ وذريته فبلغوا أربعة عشر عالِماً، أما الذين كانوا دون ذلك فكثيرين.

وقد امتنّ الله على رسله وأنبيائه بأن وهبهم الذرية الصالحة التي حملت دعوتهم من بعدهم، كما قال في إبراهيم عليه السلام، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨]، أي جعل الله تبارك وتعالى كلمة التوحيد باقيةً في عقب إبراهيم كما قال تعالى: ﴿وَمِن

ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٤-٨٨].

ومن خلال دراستي لتراجم ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب الطيبة، تبين لي ما يأتي:

أولاً: ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تدعى في المملكة العربية السعودية بآل الشيخ، وقد كثر العلماء الكبار من ذريته الذين ساروا مسار جدّهم في تلقي العلم والنبوغ فيه، وتدريسه للناس، وتولوا القضاء والإفتاء، وراقبوا مدى استقامة الحكام في ديارهم على الشريعة الإسلامية، وفي مقدمة هؤلاء أبناء الشيخ محمد، وهم علي، وعبدالله، وحسين، وإبراهيم، وكان علي أكبرهم، ولذلك كان الشيخ يُكنى بأبي علي، وقد وُلد في الدرعية، وكان عالماً ورعاً، يحضر مغازي آل سعود، ويأم الجيوش الغازية ويرشدها، توفي عام ١٢٤٥هـ.

وكان عبدالله أعلم أولاد الشيخ محمد، وقد قام مقام والده بعد وفاته، وكان عالماً كبيراً في علوم الشريعة والعربية، وُلد عام ١١٦٥هـ في الدرعية، وتوفي عام ١٢٤٢هـ. وقد مات علي وعبدالله في القاهرة بعد أن نقلهما إليها إبراهيم باشا بعد هدمه الدرعية وقضائه على الدولة السعودية عام ١٢٣٣هـ.

ومن أبناء الشيخ العلماء الشيخ حسين الذين وُلد كفيف البصر، وقد نبغ في العلم، فنصبت له حلقة تدريس كبرى في الدرعية، وكان خطيب جامع الدرعية الكبير، وتولى قضاءها حتى توفي بالوباء الذي أصاب الدرعية عام ١٢٢٤هـ.

ومن العلماء من ذرية الشيخ حفيده سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وُلد في حياة جدّه عام ١٢٠٠هـ في الدرعية، واشتغل بالعلم وأعرض عن غيره، وكان واسع العلم بالحديث، وكان يقول: «معرفتي برجال الحديث أكثر من معرفتي برجال الدرعية»، وكان مفسراً محدثاً أصولياً فقيهاً نحوياً لغوياً خطاطاً، ليس له نظير في حُسْن الخط، ولاّه سعود بن عبدالعزيز قاضياً في مكة بعد توليه عليها مع حداثة سن سليمان، واختاره سعود مدرساً له ولحاشيته، وعندما اجتاح إبراهيم باشا بالجيوش التركية

والمصرية الدولة السعودية، وهدم الدرعية عام ١٢٣٣هـ وشي له بالشيخ سليمان بالزور والبهتان، فقتله.

ومن أحفاد الشيخ الذين وُلدوا في حياته في الدرعية عام ١١٩٣هـ الشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وتربى في حجر جده حتى وفاته، لأن أباه قُتل في معركة غرابة، وكان الشيخ عالماً فذّاً يصاحب الإمام في وقائعه، وحارب الجيوش التركية. صحبه الإمام ودوّن مذكراته في تلك الوقائع والحروب بمذكرات يومية، وقد نقله إبراهيم باشا بصحبة زوجته وابنه إلى مصر، فلما استعاد الإمام تركي بن عبدالله آل سعود الحكم في عام ١٢٣٩هـ كرّ عبدالرحمن عائداً إلى نجد.

ثانياً: كان كثير من ذريته من المجاهدين الذين حملوا السيف، وجاهدوا في سبيل الله، فابن الشيخ محمد، وهو الشيخ عبدالله كان علاّمة وقته في الجزيرة العربية، حمل السيف وقاتل في سبيل الله، وبخاصة لما جاء إبراهيم باشا بالجيوش الجرارة، وقد قتل إبراهيم باشا ابنه الشيخ سليمان صبراً ليغيظه به، وقال له: قتلنا ابنك، فقال له الشيخ الصابر المحتسب المؤمن بقضاء الله: «لو لم تقتله مات».

وكان ابن الشيخ محمد، وهو علي عالماً ورعاً، يحضر المغازي مع الأئمة من آل سعود، وكان يأم الجيش ويرشده.

وابن الشيخ محمد، وهو حسن سقط شهيداً في معركة غرابة، ولذلك تربى ابنه الشيخ عبدالرحمن في حضن جدّه.

وممن سقط شهيداً في حرب الدرعية مع إبراهيم باشا محمد ابن العلاّمة الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.

ثالثاً: عندما أصيبت الدولة السعودية وأزيلت بهجوم إبراهيم باشا الألباني صحبة الجيوش التركية والمصرية الجرارة، أصيب آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمصاب عظيم، فقد قُتل بعضهم في تلك المعارك، منهم العلاّمة الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، (١٢٠٠-١٢٣٤هـ) ومنهم من فرّ من دياره، منهم الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب (المتوفى عام ١٢٥٧هـ) فرّ إلى عُمان وقطر، وعاد إلى الرياض بعد عودتها إلى الإمام تركي بن عبدالله.

ومنهم الذي أجبر على الانتقال من بلده ودياره، فقد نقل إبراهيم باشا عائلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الأحياء إلى مصر، وفيهم ابناه العلاّمة عبدالله والشيخ علي، وبقيا هناك غريبين وماتا في القاهرة، الأول في عام ١٢٤٢هـ، والثاني في عام ١٢٤٥هـ ومن الذين نُقلوا إلى القاهرة الشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن حسن بن

محمد بن عبدالوهاب (١١٩٣-١٢٨٥هـ) رحل إلى مصر هو وزوجته، ومكث في القاهرة ثماني سنوات، ثم عاد إلى نجد بعد تولي تركي الإمارة في الرياض، وكانت عودته في عام ١٢٤١هـ.

رابعاً: لم يكن الانتقال القسري لآل الشيخ شرّاً كله، فقد وقع لهم في ذلك أمور لعل فيها خير كثير، فمن ذلك:

١- الأجر العظيم الذي حصلوه، في احتسابهم له عند ربهم، فإنهم أضيروا وأوذوا بذلك الانتقال، ومات بعضهم غريباً عن دياره، وبقي آخرون في أرض مصر واستوطنوها، وعاد آخرون بعد تعب وعناء.

٢- تعلم بعض الذين انتقلوا إلى مصر في الجامع الأزهر، وحصلوا علوماً كثيرة كان العلماء فيها في نجد قليلين، فالعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (١١٩٣-١٢٨٥هـ) مكث في مصر ثماني سنوات، وأخذ عن الأزهريين علوم اللسان وأسرار البيان وأصول العلوم، وقرأ على علماء مصر، وأجازوه إجازات طويلة مسلسلة، وضمّ إلى علومه الأولى علوماً أخرى، وقد كان لهذا العلم أثر كبير عليه وعلى من حوله.

ودرس الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد ابن عبدالوهاب (١٢٢٥-١٢٩٣هـ) في الأزهر، وكان انتقل إلى مصر مع أبيه صغيراً، وكان يدرس التفسير والحديث والأصول والفقه وعلوم العربية من النحو والصرف والبيان، وكان يقصد المكتبات العامرة بنفائس الكتب وذخائر المراجع، وكان يرجع إلى بيته، فيجد جدّه لأمه الشيخ عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب، وأباه الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد ابن عبدالوهاب، وعمّه الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب، وخاله الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد، فيأخذ عنهم العقيدة الصحيحة، وعلم السلف.

وتزوج في مصر، وطالت إقامته فيها حتى بلغت (٣١) عاماً، فلما خفت المراقبة على آل الشيخ رجع إلى بلاده عن طريق مكة في عام (١٢٦٤هـ).

ومن الذين عادوا من مصر بعد عمر طويل بها الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، رجع من مصر عام (١٢٨٨هـ) واستقر بالرياض وتزوج بها، وله أحفاد في الرياض مشهورون. [علماء نجد: ٢/ ٣٩٥].

خامساً: استوطن بعض آل الشيخ مصر، بعد انتقالهم إليها، فالشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٩-١٢٧٤هـ) وُلد في الدرعية، وسقطت الدرعية على يد إبراهيم باشا وله من العمر أربعة وعشرون عاماً، وانتقل مع أبيه إلى مصر، ودرس على علماء الأزهر، وجدّ واجتهد حتى بلغ مبلغاً كبيراً في العلم، وأصبح أحد المدرسين في الأزهر، وأحيا مذهب الحنابلة فيه بعد انقطاعه، وكان يدرس في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر، وأصبح شيخ هذا الرواق، وكان ظاهر التقوى والصلاح والزهد والعبادة.

وقد أثر الشيخ فيمن حوله، فجماعة «السبكية» في مصر اعتنقوا المذهب الحنبلي، وحققوا التوحيد عن طريقه، وذكر الدكتور منير العجلوني أن المؤرخ الفرنسي «مانجان» أخذ أكثر علومه عن نجد عن الشيخ عبدالرحمن.

ورزق الشيخ عبدالرحمن بثلاثة من الأولاد استوطنوا مصر، وهم أحمد الأجْزجي (أي الصيدلي)، وعبدالله ومحمد، فأما أحمد فله ابن اسمه عبدالرحمن حقي، وابنة اسمها لطيفة، وعبدالله حقي ابن أحمد الأجزجي له ابن اسمه محمد صار رئيس إسعاف العياط

بمصر، وله ابن مهندس يقال له أحمد، عمل مدة في مطار جدة، وهو مصري الجنسية.

وقد توفي محمد رئيس إسعاف العياط عام ١٣٧٨هـ ونعته جريدة الأهرام المصرية بقولها: «فقيد الواجب المرحوم محمد عبدالرحمن حقي آل الشيخ رئيس إسعاف العياط، والد المهندس أحمد حقي بالسعودية، وابن عمومة أصحاب الفضيلة السادة الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالملك بن إبراهيم والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم».

واستوطن مصر أيضاً الابن الثاني للشيخ وهو عبدالله، وله ذرية في مصر، ولكنهم ضاعوا، فلا يُعرفون. [راجع علماء نجد: ٢/ ٣٩٣].

وبعض ذرية الشيخ العلاّمة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب بقي في مصر، فمن أولاده أحمد، وهو أكبر أولاده، وُلد في مصر، ولما أراد والده العودة إلى نجد عرض عليه الخروج فامتنع، وكان مهندس بناء، ولما سافر الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن إلى القاهرة رأى ابن أخيه المذكور، وبعد ذلك انقطعت أخباره. [علماء نجد: ٢/ ٣٥٦].

سادساً: حفظهم القرآن وتلقي بعضهم العلم عن بعض:

الذي يدرس سيرة الأعلام من ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب يجد أن آباءهم ومن يتولون أمورهم يوجهونهم إلى حفظ كتاب الله صغاراً، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب حفظ كتاب الله صغيراً قبل أن يتم السنة العاشرة، وممن ذكر أنه حفظ القرآن قبل إتمامه سن العاشرة الشيخ عمر بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، وحفظ الشيخ محمد بن إبراهيم ابن عبداللطيف مفتي المملكة القرآن في سن الحادية عشرة، وبالجملة فالجميع كانوا يوجهون إلى حفظ القرآن صغاراً.

والأمر الثاني الملفت لنظر الباحث أن الأجيال الناشئة كانت تأخذ العلم عمن قبلها، فالإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب درس أبناءه عبدالله وعلي وحسين العلم، ومن أحفاد الشيخ الذين أخذوا عن جدّهم عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، وعبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أخذ العلم عن أبيه وابن عمه عبدالرحمن بن حسن، والشيخ عبدالله بن حسن بن حسين المتوفى عام (١٣٧٨) أخذ العلم عن أبيه، وعن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ عمر بن حسن بن حسين المتوفى عام ١٣٩٥هـ قرأ العلم على والده وعلى الشيخ عبدالله بن

عبداللطيف، والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أخذ العلم عنهم كانوا علماء أعلام، يقومون بتدريس العلوم الشرعية.

سابعاً: مساكن آل الشيخ:

سكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب الدرعية، وولد جميع أولاده بها، وبها مات هو وبعض أولاده، وبعضهم مات في مصر، ومنهما علي وعبدالله، وبعد عودة الحكومة السعودية على يد الإمام تركي، جعل الرياض عاصمة له، وإليها رجع الذين فروا من الدرعية، أو نقلوا إلى مصر، وقد وُلد كثير من علماء الشيخ وماتوا في الرياض.

ثامناً: اشتغال بعض آل الشيخ بالتجارة:

اشتغل بعض العلماء من ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتجارة، مثل الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين ابن محمد بن عبدالوهاب، وتولى بعض المعاصرين وظائف مهمة في الدولة في وزارة العدل ووزارة المعارف، وبعضهم أصبح وزيراً.

المطلب السادس
الذين كتبوا عن الشيخ ودعوته

كتب كثير من العلماء والدعاة والباحثين عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فبعضهم أفرده بالتأليف، فخصه بكتاب تحدث فيه عن سيرته وعقيدته وآثاره، ومنهم من ترجم له وتحدث عنه في كتاب عام، ومنهم من خصّه برسالة علمية للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه، ومنهم المستشرقون والغربيون الذين ألّفوا فيه كتاباً أو بحثاً، ومنهم الذين أنشدوا القصيد في تأييده أو تأبينه بعد وفاته.

الفصل الأول
الذين أفردوه بالتأليف

أفرده عدد كبير من العلماء بالتأليف، منهم من كان من ذريته، أو أتباعه، ومنهم المعجبون به في الجزيرة، وخارج الجزيرة العربية، ومن هؤلاء:

١ - حسين بن غنام الأحسائي، تلميذ الشيخ محمد رحمه الله، وهو أول من ألّف كتاباً في ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، سماه «روضة الأفكار والأفهام» وتوفي الشيخ حسين بن غنام عام ١٢٢٥هـ.

٢- الشيخ العلاّمة المحدث إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، (١٢٧٦هـ-١٣١٩هـ) كتب كتاباً بعنوان: «نبذة نفيسة عن حقيقة دعوة المصلح محمد بن عبدالوهاب» وقد اعتنى بإخراجها وطبعها الشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن محمد التويجري.

٣- الشيخ العلاّمة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ألّف كتاباً عنوانه: «الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته».

٤- ولفضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان كتاب عنوانه: «فضل دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله».

٥- وقد ألّف الشيخ الدكتور محمد خليل الهراس كتاباً رد فيه على مقال كتبه الدكتور محمد البهي في نقد الوهابية.

٦- وألّف الشيخ علي الطنطاوي كتاباً عنوانه: «محمد بن عبدالوهاب».

٧- وعبدالكريم الخطيب ألّف كتاباً عنون له بـ«محمد بن عبدالوهاب».

٨- والشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي قاضي المحكمة الشرعية بقطر، ألّف كتاباً بعنوان «الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية»، وطبعته الثالثة بالدار السلفية في الكويت في عام ١٣٩٤هـ.

٩- مسعود الندوي كتب كتابا عنوانه «مصلح مظلوم ومفترى عليه».

١٠- محمد جميل غازي كتب كتاباً عنوانه: «مجدد القرن الثاني عشر».

١١- أمين سعيد ألّف كتاباً عنون له بـ «سيرة محمد بن عبدالوهاب».

١٢- مسلم الجهني كتب كتاباً عنوانه «أثر حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العالم الإسلامي».

١٣- أحمد بن عبدالغفور عطار كتب كتاباً عنوانه «محمد بن عبدالوهاب».

١٤- عبدالعزيز سيد أهل كتب كتاباً عنون له بـ «داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب».

١٥- وللدكتور عبدالله الصالح بن عثيمين كتاب عنوانه: «محمد ابن عبدالوهاب حياته وفكره».

١٦- ولعبدالله بن سعد الرويشد كتاب عنوانه: «الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ».

١٧- ولأحمد عبدالعزيز الحصين كتاب عنوانه «دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب سلفية لا وهابية».

الفصل الثاني
الذين ترجموا له ترجمة غير مفردة

ترجم له كثير من الكُتّاب والباحثين ترجمة غير مفردة، فمن هؤلاء:

١- حسين بن غنام في كتابه «تاريخ نجد».

٢- عثمان بن بشر في تاريخه «عنوان المجد».

٣- الشيخ بشير السهسواني الهندي في كتابه: «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان» وطبعته الخامسة في ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م وطبع على نفقة عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميح.

٤- وذكره الشيخ محمود شكري الألوسي العراقي في كتابه «تاريخ نجد».

٥- وذكره الشيخ أحمد بن سعيد البغدادي في كتابه: «نديم الأريب».

٦- وذكره الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «محاورة المصلح والمقلد» وذكره في مجلة المنار، وذكره في مقدمته لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان».

٧- وترجم له الزركلي في كتابه «الأعلام».

٨- وعبدالمتعال الصعيدي في كتابه «المجددون».

٩- وحامد الفقهي في كتابه: «أثر الدعوة الوهابية».

١٠- وعبدالعزيز بكر في كتابه «الأدب العربي وتاريخه».

١١- والدكتور أحمد أمين في كتابه «زعماء الإصلاح».

١٢- ومحمد قاسم في كتابه «تاريخ أوروبا».

١٣- ومناع القطان في كتابه «دعوة الإسلام».

١٤- والدكتور محمد بن عبدالله ماضي في كتابه «حاضر العالم الإسلامي».

١٥- وأحمد حسين في كتابه «مشاهداتي في جزيرة العرب».

١٦- والعقاد في كتابه «الإسلام في القرن العشرين».

الفصل الثالث

الذين كتبوا فيه رسالة علمية جامعية

كتبت عدة رسائل علمية جامعية في الشيخ محمد ودعوته للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، منها:

١- رسالة دكتوراه لحمد عطية الزهراني بعنوان: «دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي».

٢- رسالة دكتوراه لصالح بن عبدالله العبود، بعنوان: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي».

٣- رسالة ماجستير لعبدالعزيز بن محمد العبداللطيف بعنوان «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

الغصن الرابع
الذين قالوا فيه شعراً

ومنهم من قال فيه شعراً في حياته، أو في تأبينه بعد مماته، أو بعد مرور الأزمان في ذكراه، فمن هؤلاء:

١- الشيخ حسين بن غنام رثاه عند وفاته بقصيدة بلغت الغاية في الجودة، قال في فاتحتها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزع

لقد كسفت شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء في الخدود وأدمع

إمام أصيب الناس طراً بفقده ... وطاف بهم خطب موجع

وأظلم أرجاء البلاد لموته ... وحلّ بهم كرب من الحزن مفظع

٢- قصيدة الشيخ العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير الشهير بالصنعاني، أرسلها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حياته [الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ص١٠٨] قال فيها:

سلامي على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البُعد لا يجدي

وقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد

سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ألا يا صبا نجد متى سرت من نجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

٣- وقد رثى العلاّمة محمد علي الشوكاني الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قصيدة مطلعها:

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي
وخطب به أعشار قلبي تصدعت فأمست بفرط الوجد أي تواكلي

إلى أن قال:

لقد مات طود العلم قطب رحى العلا ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طراً بموته وغيب وجه الحق تحت الجنادل
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا ومروي الصدى من فيض علم ونائل
إمام الورى علامة العصر قدوتي وشيخ الشيوخ الجد فرد الفضائل

٤- وقال الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي في الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مدح فيصل بن تركي:

وآووا إماماً قام لله داعياً يسمى بشيخ المسلمين محمد
لقد أوضح الإسلام غراً عند اغترابه وقد جدّ في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها كما قد أمات الشرك بالقول واليد

٥- وذكر الشيخ أبو السمح عبدالظاهر المصري الذي كان إماماً بالمسجد الحرام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نونيته التي تأسف فيها على الإسلام فقال:

أسفي على الشيخ الإمام محمد ... حبر الأنام العالم الرباني

علم الهدى بحر الندى مفني العدا ... من شن غارته على الأوثان

من قام في نجد مقام نبوة ... يدعو إلى الإسلام والإيمان

حتى غدت نجد كروض مزهر ... يختال في ظلل من العرفان

٦- وقال الشيخ ملا عثمان:

إن كان تابع أحمد متوهباً ... فأنا المقر بأنني وهابي

أنفي الشريك عن الإله فليس لي ... رب سوى المتفرد الوهابي

لا قبة ترجى ولا وثن ولا ... قبر له سبب من الأسباب

الفصل الخامس
الذين كتبوا عنه من غير المسلمين

كتب عن الشيخ كثير من الباحثين غير المسلمين من المستشرقين وغيرهم، فمن هؤلاء:

١- كاتب فرنسي، كتب عنه كتاباً ونشره في عام ١٨١٠م بعنوان «تاريخ الوهابيين» وكان ذلك بعد وفاة الشيخ محمد بثماني

عشرة سنة، وهذا يعني أن هذا الكاتب درس سيرة الشيخ وحركته قبل ذلك بسنوات، إن لم يكن ابتدأ الجمع والترجمة في آخر حياة الشيخ.

٢- وذكره الباحث الأميركي لوثروب ستودارد في كتابه «حاضر العالم الإسلامي».

٣- وترجم له كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية» في الجزء الرابع منه، وقد تناول الحركة بالدرس والتحليل.

٤- وترجم له المؤرخ الألماني داكوبورت في كتابه «عبدالعزيز» وطبع في عام ١٩٥٣م في ألمانيا.

٥- وترجم له ديلفرد كانتول في كتابه «الإسلام في نظر الغرب» وقد ألفه جماعة من المستشرقين.

٦- وترجم له العالم الفرنسي برناد لويس في كتابه «العرب في التاريخ».

٧- وترجم له المستشرق الألماني جولد زيهر في كتابه «العقيدة والشريعة».

٨- وتحدث عنه المستشرق الإنجليزي جب في كتابه «المحمدية».

٩- وتحدث عنه المستشرق الفرنسي سيديو في كتابه «تاريخ العرب العام».

المطلب السابع

شهادات بعض أهل العلم في الشيخ محمد بن عبدالوهاب

شهد للشيخ محمد بن عبدالوهاب جمع من أهل العلم بما علموه من سيرته وعلمه وفضله ودعوته، ومن هؤلاء العلماء الفضلاء:

أولاً: الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب:

قال الشيخ إسحاق رحمه الله في رسالته المعنون لها بـ «نبذة نفيسة عن حقيقة دعوة الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب»: «قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة والمقروءة عليه، وما ثبت بخطّه، وعرف واشتهر من أمره ودعوته، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه على ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى، في باب معرفة الله، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، التي نطق بها الكتاب العزيز، وصحت بها الأخبار النبوية، وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم، يثبتونها، ويؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل».

وقال أيضا فيه: «وأما توحيد الألوهية، فقد حققه غاية التحقيق، وضح فيه المنهج والطريق، وقال: إن حقيقة ما عليه أهل الزمان، وما جعلوه غاية الإسلام والإيمان من طلب الحوائج من الأموات، وسؤالهم في المهمات، وحج قبورهم، للعكوف عندها والصلوات، هو بعينه فعل أهل الجاهلية الأولى، من دعاء اللات والعزى ومناة».

ثانياً: الشيخ العلامة محمد رشيد رضا

قال رحمه الله تعالى في مقدمته التي قدم بها لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» للمحدث الكبير محمد بشير السهسواني الهندي (ص١١): «كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي من العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة، فنهدت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث: قوة الدولة والحكام، وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام، وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه أنه خالف جمهور المسلمين».

وقال ايضا (ص١٣): «اطلعت على اكثر كتب الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ورسائله وفتاويه وكتب أولاده وأحفاده ورسائلهم ورسائل غيرهم من علماء نجد في عهد هذه النهضة التجديدية، فرأيت أنه لم يصل إليهم اعتراض، ولا طعن فيهم، إلا وأجابوا عنه، فما كان كذباً عليهم قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦] وما كان صحيحاً أو له أصل بينوا حقيقته وردوا عليه،وقد طبعت أكثر كتبه، وعرف الألوف من الناس أصل تلك المفتريات عنهم».

ثالثاً: الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي (١٢٩١-١٣٧٦هـ):

قال الشيخ محمد بن الحسن الحجوي في كتابه [الفكر السامي: ٤/ ٣٧٢] «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السنّة الخالصة على مذهب السلف المتمسكين بمحض القرآن والسنّة، لا يخوض في التأويل والفلسفة، ولا يدخلهما في عقيدته».

وفي الفروع مذهبه حنبلي غير جامد على تقليد الإمام أحمد ولا من دونه، بل إذا وجد دليلاً أخذ به، وترك أقوال المذهب، فهو مستقل الفكر في العقيدة والفروع معاً، وكان قوي الحال، ذا نفوذ

شخصي، وتأثير نفسي على أتباعه، يتفانون في امتثال أوامره، غير هياب ولا وجل، لذلك كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وهو منفرد عن عشيرته بالبصرة.

رابعاً: خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام:

قال الكاتب الكبير خير الدين الزركلي في كتابه [الأعلام: ٦/ ٢٥٧]: «محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، .. كان ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص، ونبذ البدع، وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، ... وكانت دعوته وقد جهر بها سنة (١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، فظهر الألوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين الأفغاني بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمي بالشام، وخير الدين التونسي بتونس، وصديق حسن خان في بهوبال، وأمير علي في كلكتة، ... سماهم خصومهم الوهابيين، وشاعت هذه التسمية عند الأوربيين، فدخلت معاجمهم الحديثة، وأخطأ بعضهم، فجعلها مذهباً جديداً في الإسلام، تبعاً لما افتراه خصومه، ولا سيما دعاة من كانوا يتلقبون بالخلفاء من الترك العثمانيين».

خامساً: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز:

يقول شيخنا الشيخ العلاّمة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله تعالى: «أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقد جدّ وصبر في الدعوة وشجعه من شجعه من العلماء والأعيان في داخل الجزيرة العربية وفي خارجها، وعزم على ذلك، واستعان بربه عز وجل، وعكف على الكتب النافعة ودرسها، وعكف قبل ذلك على كتاب الله، وكانت له اليد الطولى في تفسير كتاب الله، والاستنباط منه، وعكف على سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه، وجدّ في ذلك وتبصر فيه، حتى أدرك من ذلك ما أعانه الله به، وثبته على الحق، فشمّر عن ساعد الجدّ، وصمم على الدعوة وعلى أن ينشرها بين الناس، ويكاتب الأمراء والعلماء في ذلك، وليكن في ذلك ما يكون.

فحقق الله له الآمال الطيبة، ونشر به الدعوة، وأيد به الحق، وهيأ له أنصاراً ومساعدين وأعواناً، حتى ظهر دين الله، وعلت كلمة الله».

سادساً: الشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي

قال الشيخ أحمد بن حجر قاضي المحكمة الشرعية في قطر في كتابه «الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، ص١٢: «كان الشيخ الكبير،

والمصلح الشهير، الداعي إلى توحيد الله العلي الكبير الشيخ محمد ابن عبدالوهاب التميمي النجدي رحمه الله تعالى من أولئك العدول المجددين والمصلحين والمخلصين.

قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ، كما قام يدعو إلى نبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصلحاء والأشجار والغيران، ويأمر بإقامة شرائع الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المتروكة».

المطلب الثامن
بعض الدجالين الذين أعظموا الفرية على الشيخ وأتباعه

أولاً: مذكرات همفر:

من الغريب العجيب أن رجلاً دعا نفسه «همفر» وعرف بنفسه أنه جاسوس بريطاني أرسلته دولته لإفساد الدولة الإسلامية في عام (١٧١٠م)، وقد مكث في استانبول ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى البصرة، وزعم أنه التقى هناك بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان يأوي إلى بيت نجار شيعي فارسي من أهل

خراسان، وادعى أن الشيخ كان يجيد العربية والتركية والفارسية، وادعى أنه سيطر على هذا الشيخ، وزين له نكاح المتعة، وترك الصلاة والصوم والزكاة، وزيّن له تكفير المسلمين، وهدم القبة المقامة على قبر الرسول ﷺ، ودعاه إلى هدم الكعبة، وهدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة، والسعي لخلع الخليفة، وتغيير القرآن وتبديله.

إن ما ذكره هذا الأفاك الأشر هو مجموعة من الأكاذيب التي لا تروج إلا على الأغبياء الذي فقدوا عقولهم، ومن درس سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعرف عقله وعلمه وورعه وتقاه، وكراهيته للشيعة، وما قاموا به وذهبوا إليه، وعلم أنه كان في البصرة في حضرة العلماء الأعلام من أهل السنّة، علم كذب هذا الأفاك الدجال، وحسبنا أن الشيخ محمد عبدالوهاب كان في سن العاشرة من عمره عندما جاء هذا الدجال إلى البصرة كما يزعم عام (١٧١٣م) فكيف يتسنى أن يرحل الشيخ محمد رحمه الله، ويخرج من بلده في مثل هذا السن.

وقد ذكر الدكتور محمد سعد الشويعر أن ضابطاً بريطانياً اسمه «هارفورد برايجس» كان يقيم في العراق (١١٩٩-١٢٠٩هـ) قال: «لقد أشاع الباب العالي أن ابن سعود كان يمنع الناس من

زيارة المدينة المنورة، ولكن الصحيح أنه كان يمنع الناس من ارتكاب أعمال الشرك أمام الروضة كما منع الناس من عبادة الأولياء».

إن المدعو مستر «همفر» وكتابه الذي دعي بالمذكرات أكذوبة، بل أكذوبة كبيرة، ليس لها في الواقع وجود، أراد بها بعض المغرضين بلبلة الأفكار، وتحريك الفتن، ونزع الثقة من كل داعية مخلص.

ولم يكن الشيخ في البصرة عندما حلّ بها نكرة مجهولاً، فقد التقى بالعلماء الأعلام، واستفاد منهم وأفادهم، ولم يكن كما ذكر هذا الجاسوس الكاذب مجرد غلام يأوي إلى بيت شيعي، كما يأوي الفقير المتسول الذي يطلب الصدقة، وكل هذا الذي ذكره هذا الجاسوس، ليس له من الصحة نصيب، ولم يقم عليه دليل، والدعاوى إذا لم يقم دليل يثبت صحتها أصحابها أدعياء.

ثانياً: رمي الشيخ وأتباعه بأنهم وهابية خوارج:

وقصة هذا الجاسوس الذي لا وجود له، شبيهة بما رمي الشيخ وأتباعه به، فقد زعم بعض الذين غفلوا عن الحق أن الشيخ وأتباعه فرقة من الخوارج كفرها أهل العلم في شمال إفريقيا، كما كفرها علماء الأندلس.

وقد كتب الدكتور محمد سعد الشويعر رسالة طبعتها دار الحبيب ذكر فيها أن الفرقة الوهابية التي هاجمها علماء الأندلس وعلماء شمال إفريقيا دعوة تنسب إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم الخارجي المتوفى سنة ١٩٧هـ بمدينة تاهرت في الشمال الإفريقي،وهي سابقة لدعوة محمد بن عبدالوهاب النجدي التميمي بألف سنة تقريباً، والدعوة الأولى دعوة إباضية، يكفر أتباعها المسلمين، والدعوة الثانية دعوة سلفية قائمة على اتباع منهج أهل السنّة والجماعة.

الخاتمة

هذا الذي دونته فيما مضى عن الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب الذي ظهر في نجد قلب الجزيرة العربية قبل ثلاثمائة سنة تقريباً، وقد فقه عن الله دينه الحق، فعرف أن قومه في نجد، والعرب في الجزيرة العربية، والمسلمين في أرجاء العالم الإسلامي قد انحدروا في هاوية الضلال، وابتعدوا عن الدين الحق، وبدل أن يقصدوا الواحد الأحد الفرد الصمد بعبادتهم، قصدوا الأموات، ودعوا من سموهم الأولياء من دون الله، واستغاثوا بهم، وذبحوا لهم، وبنوا على تلك القبور القباب، وجعلوا لها السرج، وأقاموا الأعياد والموالد، وقدموا لها الهدايا والقرابين.

وقد قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب يدعو الناس في بلده الذي هو فيه إلى توحيد الملك العلاّم، ونهى عن الشرك واتخاذ الأنداد من دون الله، وواجه في دعوته عقبات كؤوداً، فأعانه الله على اقتحام الصعاب، وهيأ له من ناصره، وما زال نجمه في

صعود، ونجم مناوئيه في خفوت، حتى عمت دعوته الجزيرة العربية، وتعدتها إلى العالم الإسلامي، بل العالم كله.

وقد كانت بلاده في ذلك الزمان شبيهاً بحال الجزيرة في عهد الرسول ﷺ ، فسار الشيخ على خطا الرسول ﷺ ، فدعا إلى نبذ عبادة القبور، كما دعا الرسول ﷺ إلى نبذة عبادة الأصنام، وحارب الوثنية المشابهة لوثنية أهل الجاهلية، وهدم القباب المبنية على القبور، وقطع الأشجار التي يعبدها الناس كما قطع الرسول ﷺ شجرة العزى التي كانت إلهاً يُعبد من دون الله.

لقد هيأ الله الشيخ ليجدد للناس دينهم في عصره، وقد أُخرج الشيخ مرة بعد مرة من بلده، فقد أُخرج من البصرة، فذهب إلى الزبير، ورحل من حريملاء حينما أزمع بعض الأوباش الاعتداء عليه وقتله، وانتقل إلى العيينة، حيث ناصره أميرها، فلما تخلى عنه وأمره بالخروج من بلده انتقل إلى الدرعية، فنصره أميرها نصراً مؤزراً، وكان الشيخ يقيم حلقات العلم، ويفقه الناس، وكان قاضياً يحكم بين الناس، وكان يكتب الرسائل على سراج خافت، يرسلها إلى أهل المشارق والمغارب، وكان يقود الجيوش صحبة محمد بن سعود، وكان يشرف على تدريب الموحدين ليكونوا جنوداً يقاتلون في سبيل الله، ومدّ الله في عمر الشيخ فرأى ثمرة جهده

وعمله، فقد انتشرت دعوته في أرجاء المعمورة، وظللت دولة التوحيد الجزيرة العربية، . أقبل الناس إلى الرجوع إلى دين الله أفواجاً، ونبذوا البدع والخرافات، وقامت للعلم الصحيح قائمة وارفة الظلال، وامتد النور إلى شتى بقاع الأرض، وأحب في هذه الخاتمة أن أؤكد على القضايا التالية:

١- الإسلام هو الدين الحق القابل لأن يقيم الأمتين: العربية والإسلامية ويخلصهما مما أصابهما من الانحراف والفرقة والاختلاف، وأن يعيد لهما مكانتهما العالية التي كانوا يتبوّءُونها.

٢- توحيد الله، وإخلاص العبادة له، والخلوص من الشرك هو الأساس الذي يجب أن يقيمه كل الدعاة في دعوتهم، فكل الأنبياء والرسل حققوا هذا الأصل، وحاربوا ما يناقضه مما تفشى في أممهم.

٣- لا يكفي لرفع راية القرآن، وإقامة الناس على الطريق الصواب الدعوة إلى الله، بل لا بد أن يجتمع القرآن والسلطان في مسار واحد، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وقد حرص الشيخ محمد على أن يناصره أمير بلده ليقوم

بدعوته، فلما تخلف عنه أمير العيينة مضى إلى الدرعية، وحالف أميرها.

٤- لا بد لمن يقوم بتقويم الأمة وإصلاحها أن يكون على ما كان عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد كان فقيهاً في دينه، بصيراً بما جاء به الرسول ﷺ، عالماً بالحق، موقناً بنصر الله، داعياً إلى الله، مقاتلاً في سبيل إعلاء هذا الدين، عالماً بالمصاب الذي أصاب الأمة، ناذراً نفسه لعلاج المصاب الذي حلّ بها.

٥- كشف الله في هذه الأيام حال هذا الداعية بما لا مزيد عليه، فقد نشرت كتبه، وعرفت سيرته، وتبين الناس أصول دعوته، فزالت تلك المفتريات التي افتراها عليه خصومه، وعرفت الأصول التي كان يدعو إليها، وقامت المعاهد والجامعات التي تدرس العلوم التي رعاها الشيخ، ونشرها، وأخذ بها تلامذته.

٦- الشيخ العلاّمة محمد بن عبدالوهاب لم يأتِ بمذهب جديد، فهو متبع وليس بمبتدع، كان على مذهب أهل السنّة والجماعة، وكان داعية إلى توحيد الله، وكان محذراً من الشرك والبدع والخرافات.

٧- الشيخ محمد عبدالوهاب رحمه الله على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الأصول والفروع، يقيم الحق ويقرره، ويعضده بالأدلة والبراهين من الكتاب والسنّة.

٨- على الدعاة إلى الله، وأهل العلم وهم يبحثون عن الطريق الذي يحيون به أمتهم في هذه الظروف العصيبة أن يدرسوا بعناية سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، ويستفيدوا منها، وهم يحاولون النهوض بأمتهم.

٩- على دعاة الحق أن ينصفوا الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأن يقولوا فيه قولة الحق، فقد ظلم الشيخ كثيراً، واتهم بكثير من التهم هو بريء منها، وقد آن لأهل العلم أن لا يخافوا وهم يبينون الحق إلا من ربهم.

١٠- على الذين هداهم الله للصواب أن ينشروا ما زال رهين المكتبات إلى اليوم مما لم يُطبع من كتب تلامذة الشيخ، فقد علمنا أن مذكرات الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب التي دوّن فيها مجريات الأمور في الحروب بين الموحدين وإبراهيم باشا ومن معه من الجيوش التركية والمصرية لم تطبع بعد.

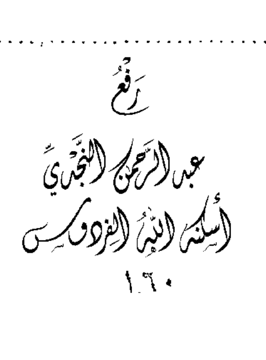
وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى ان يجمعنا بالشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن استقام على منهجه من بعده تحت لواء المصطفى المختار نبينا محمد ﷺ وعلى أصحابه وآله من بعده، والحمد لله رب العالمين.

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

فهرس


رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس